مؤسس المشروع : د. طلال المكى / رئيسة المشروع : سهام الشريف
نواب رئيسة المشروع : دعاء بامردوف / شهد ياسين
روافد المعرفة

تثريب

سلطان الموسى

2030
مشاريع المبادرة الأولى
FIRST INITIATIVE PROJECTS

رئيسة لجنة الدراسات :

ابراهيم عبدالعزيز المعثم

نائبة رئيس لجنة الدراسات :

ملاك ابراهيم العنزي

رئيسة لجنة الكتابة :

وديان سعد القمار

رئيسة لجنة تقنية المعلومات :

اشواق فهد الجمعيه

نائبة رئيسة لجنة تقنية المعلومات :

رشا عدنان الصبري

رئيسة لجنة التصميم :

الأ الدوخي

رئيسة لجنة التنسيق :

ريمان خان

رئيسة لجنة التدقيق ومراجعة الروايات :

زينب الرمضان

نائبة رئيسة لجنة التدقيق ومراجعة الروايات :

ايمان حكمي

رئيسة لجنة التلخيص :

تهاني احمد بنتن

نائبة رئيسة لجنة التلخيص :

بتول عياض السلمي

تلخيص :

ايمان حسين الدهان
بشرى عبدالله عباس
ساره محمد الشيخ
جود العمري
فاطمه سلمان الفليفه
محمد سعيد الماكر
ليان عبدالستار قربان

تدقيق املائي ونحوي:

نواف محمد قوارش

تنسيق الكتاب واخراجه:

لبنى بابكر

خلق الله لنا عقلاً مُفكرًا، ليسأل ويتأمل ويبحث

خلق لنا عقولاً تقود للمعرفة لا تُقاد.

خُلقنا كي نتسأل، ونُبحر ولا يبقى العقل راكدًا..

وديان سعد

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم....ربنا الله الرحيم....ولا إله إلا الرحيم....

يخيل إلي أن التاريخ صار كالهرم له عدة أوجه رغم أن التاريخ كما يشاع لا يكتبه إلا المنتصرون من واقع منظورهم الواحد. ولكن من يقوى على الاختلاف؟!

أجدني هنا أتحدث عن قصة أثرية تاريخية وإن اختلفت الأقوال حول أسانيدها أو صحة الأشخاص فيها،وأنا أعني هنا القصة الشهيرة للإمام فخر الدين الرازي وهي:

أن عجوزًا رأت الناس يتهافتون على رؤية الإمام الرازي ،فعندما سألتهم من يكون هذا الذي تتهافتون عليه؟قالوا لها : هذا الذي عنده مئة دليل على وجود الله .

فقالت :لو لم يكن عنده مئة شك لما كان عنده مئة دليل.

فلما سمعها الإمام تبسم ضاحكًا من قولها وقال:((اللهم إيمانًا كإيمان العجائز)).

إن كان ما يجب أن نفهمه من هذه القصة أن الرازي يغبط تلك العجوز على إيمانها الفطري ،إلا أن من لا يؤمنون بوجود الله يستخدمون هذه القصة من زاوية أخرى فيدّعون أن من يبحث عن الله هو بالضرورة إنسان مدفوعُ بشكوكه التي تعتريه وهو إنما يبحث عن ما يسكن به نفسه ويطمئن به قلبه ،ولو لم يكن لديه شك لقال مثل تلك العجوز .

وأنا هنا أتساءل و أقول:ألا يمكننا تطبيق هذه النظرة بشكل عكسي حتى على الملحد؟فهو أيضًا يبحث عن الأدلة التي يؤكد بها اطمئنانه لعدم وجود الخالق؟! ألا يعني ذلك وفق هذا المنطق أنه مدفوعٌ بشكوكه التي تعتريه؟!و أنه لو كان مطمئنًا إلى ما وصل إليه لكفى الأديان شره وآمن(كإيمان العجائز)؟!

الدين وأخص الإسلام منه ،لم يصادر حق أتباعه في استخدام عقولهم ولم يأمرهم بالتسليم الأعمى دون ذلك. فحين يخاطبنا الله أكثر من مرة بقوله: أفلا تعقلون أفلا تتفكرون ،أفلا يتدبرون؟ ثم يترك حرية الاعتناق في قوله:(وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ)[الكهف:29]فأنت هنا مدفوع بعقلك ويقينك للبحث عن صراطه.

وحين يخاطبنا الله ويحثنا على أن نسير في الأرض وننظر كيف بدأ الخلق،وأن ننظر إلى الإبل كيف خلقت،وأن نسير في الأرض وننظر كيف كان عاقبة الذين من قبلنا ،فنحن ندرك أن السير هنا دعوة للبحث والتقصي وطلبًا للعلم والمعرفة.

ولو توقفنا قليلًا مع الآية التي يقول الله فيها"(وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ)[الحج:8]سنجد أن الترتيب الرباني ابتدأ بالعلم أولًا وهو ما يفسر الإنسان به الظواهر من حوله عن طريق البحث والمعرفة والتجربة من خلال ما يدركه من الحواس،ثم تلاه الهدى وهو معرفة طريق الحق بالعقل والتفكر والفطرة السليمة التي وهبها الله للإنسان، ومن ثم يكمل ذلك كله الكتاب المنير والذي يقوم على الوحي والخطاب الإلهي لتفسير الغيبيات والأمور التي لا تخضع للتطبيق والتجربة و الإدراك بالحواس كالعلم..ولا للفطرة والتفكر كالهدى..فيكمل بعضها بعضًا..

القرآن أكثر كتاب ديني انتقد بعدة مواضع(مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا)[المائدة:104]فمن غير اللائق أن نظن أنه يدعونا لتوارث الدين !هو يريد منا أن نتفكر ونتدبر في كل زمان ومكان لندرك مع من الحق.

إن تحفيز العقل وإقرار أهمية العلم للبحث عن الحقيقة هو مطلب دنيوي وديني.تتسامى به الأنفس وتتقدم به الدول والحضارات ،ويهدي به الله،ويزيد الذين اهتدوا هدى.

ويسألونني عن الحياد،وإني لأعلم بأنهم يعلمون أن الحياد في الأمور التي تتعلق بالعقائد و الأديان والطوائف و الفكر والفلسفة .....ليس إلا كذبًا وسرابًا بقيعة. لن يدركه الظمآن أبدًا...نعم أنا مسلم..

وحتى لو اكتفيت بقولي إن الإسلام من أجمل الأديان دون أن أذكر غيره من المعتقدات إطلاقًا. فسيظن أصحاب المعتقدات الأخرى أني أسأت لهم!ولكن من الواجب أن نعرض ما في معتقدات الآخرين من باب المقارنة والمدارسة وتوضيح الأمور التي وضحها القرآن الكريم دون هجوم أو تجاوز.

كانت الساعة الواحدة ظهرًا حين تلقّف بريدي الإلكتروني تلك الرسالة التي أعلن صاحبها الحرب فيها قبل الإسلام،لفتني الغضب الشديد في عنوانها فجذبني للإسراع في فتحها ،وما أن بدأت بالقراءة حتى بطل العجب إذ عرفت السبب ،فقد تبين لي أن غضب واندفاع صاحبنا كان بسبب انتقادي لنظرية داروين الشهيرة لتطور الكائنات فهو يرى أني انتقدتها عن جهل وعدم دراية بأنه لا يتعارض مع كوني مسلمًا أن أومن بنظرية داروين وبأن فيها تفسيرًا جميلًا لنشأة الأنواع في الكون؟ولم أجد في نفسي يومًا أي شك بأن نظرية داروين لا تتعارض مع وجود خالق،بل إنها لا تناقش هذه المسألة أصلًا! فحتى داروين المسكين لم يكن ملحدًا وكانت

نظريته تتمحور حول تطور الكائنات من الخلية الأولى فقط، ولم يكن يتحدث عن(من أين جاءت هذه الخلية الأولى نفسها).

بل إن لديه من الأقوال ما يؤكد عدم إنكاره وجود خالق أشهرها قوله: "من المستحيل أن نتصور أن كونًا هائلًا ككوننا قد نشأ بمحض المصادفة العمياء. دائمًا أجدني مدفوعًا للقول بوجود الإله".

بيد أن مزيدًا من التعمق والبحث والقراءة لجميع الأطراف جعلني أدرك أن من قام بتهذيب النظرية من المسلمين قد خالف داروين صاحب النظرية نفسها وذلك بعد معرفتي بأن نظرية(داروين)شيء والتطور الموجه أو (التطوير) الذي يحاول التطوريون المسلمون إثباته شيءٌ آخر.

فالأصل في نظرية التطور هو أن تفسر أصل الأنواع ونشوء وارتقاء الكائنات تفسيرًا(طبيعيًا)ولكن التطوريين المسلمين حين تبنوا النظرية جعلوا وجود الإله يفسر الأمور التي عجز العلم عن تفسيرها طبيعيًا من خلال هذه النظرية.. بمعنى أنهم سدوا ثغراتها ومعضلاتها التي يتطلب حدوثها معجزة وأسندوا ذلك إلى قدرة وإرادة الله الحكيم..

إن معظمهم لا يفرقون بين التطور الصغروي الذي يتقاطع مع علوم الوراثة والتكيف وتمرير الجينات،و الذي تقوم عليه الدلائل،وبين التطور الكبروي الذي يتحدث عن نشأة الحياة من الخلية الأولى وتطور الكائنات منها!فيظنون أن صحة الأول تعني بالضرورة صحة الثاني! وهذا هو حجر الزاوية الذي لا دليل عليه!

مع ضرورة التنويه بأن وجود من قاموا بتهذيب النظرية من المسلمين لا يعني أيضًا أن ما قاموا به لا يُنتقد وأن النظرية تحولت إلى حقيقة علمية لا تقبل النقاش!فالانقسام الذي حدث الآن كبير في صفوف التطوريين،فمنهم من يؤمن بالتصميم الذكي كالمسلمين،ومنهم من يؤمن بالعشوائية والمصادفة كالملاحدة

وليس موقف القبول بالتطور العشوائي أو الموجه هو ما حصل تجاه النظرية. بل إننا نجد حتى من الملاحدة أو اللادينين من يرفض نظرية التطور مثل(ديفيد بيرلينسكي) الذي يصفها بالنظرية الهشة التي أثبتت فشلها رياضيًا ويتهم الملاحدة بأنهم ألبسوها ثوب العلم،وليس(لديفيد بيرلينسكي) ما يدافع عنه سوى الأمانة العلمية!

وقد تحدث الدكتور فيليب جونسون في لقاء تلفزيوني قال فيه:(هنالك سببان يمنعان العلماء الآن من رفض نظرية التطور..الأول هو أنهم سيخسرون مظهرهم التحضري و العلمي وسيتم منعهم من القيام بالبحوث العلمية وأحيانًا قد يطردون من العمل. أما السبب الثاني فهو علمي..فالقول بأن نظرية التطور غير صحيحة

يعني الرجوع خطوة إلى الوراء تدفعنا للتساؤل بالقول ماهو الصحيح إذًا في تفسير نشأة الحياة؟ فالعلم يجب أن يملك هنا إجابة أيًا كانت).

وهذا يذكرنا بما قاله زعيم الملحدين والمتحدث باسم التطور العشوائي(ريتشارد دوكنز) حين قال:(رفض التطور سيعيدنا إلى تفسير نشأة الكائنات بالمعجزة)..وهذه إشارات تبعث على ضرورة التشبث بالنظرية أيًّا كانت المشكلات،فيبدو أن تفسير نشأتنا بوجود خالق مرعبة لدى البعض...!

وهذا ماحدا بنا إلى سماع فضائح عن الأدلة والأحافير التي ينسبها التطوريون إلى نظريتهم. فقد اتضح أن إنسان جاوا دليل مزيف..وكذلك إنسان نبراسكا دليل مزيف!؟وكما قال مايكل كريمو في كتابه(التاريخ الخفي للجنس البشري)بأن هنالك من يتعمد تزييف الأدلة لمصلحة التطور!

ونحن هنا لا نعترض على حق الآخرين في قبول التطور وفق أي طائفة من هذه الطوائف..ولكن يجب أن يعي الجميع أنهم أمام اعتراض (علمي) حقيقي..يتطلب منهم التواضع أمام المستجدات!

نعود في هذا الكتاب لنناقش ما يمكن أن يخالج هذه النفس البشرية التي كانت ومازالت أكثر شيءجدلًا،دائمًا مايقف الإنسان خصيم نفسه فيثقل عليها بالأسئلة ،والشكوك،وعجائب الأفكار..ولا أخفي عليكم سرًا أن معظم ما سأكتبه في الفصول القادمة هو إجابات على أسئلة كانت تؤرقني ولست أدري إن كانت تخطر على البال الكثير منكم أم القليل،وذلك لقناعتي بتشابهنا نحن البشر،وتشابه ما يخالج أنفسنا من شك وفضول وتساؤلات ولوم وتثريب،وأشياء لست أذكرها،فعسى أن يتشابه أيضًا ما يمكن أن يقنعنا من الأجوبة ويلبي احتياجاتنا الفكرية والعقلية نحو الصواب ،فأنا مؤمن بأن الإيمان المسالم والذيلا يشوبه شك ولا فتن غير موجود!

وإذا كان الرازي قد قال:(اللهم إيمانًا كإيمان العجائز).

فإن الله قد قال:(أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ)[العنكبوت:2]

سلطان موسى الموسى

2015م

ملك اِلناس :

ومثل أي إنسان في هذا الوجود, يقف مع نفسه في لحظات صمت وتفكر, فيطرح عليه عقله تلك الأسئلة التي قد يعجز العقل عنها نفسه, فيبدأ بخطوات البحث عن ذلك إما سراً أو جهراً .. حتى يصل أو ربما يضل الطريق.. ربما من السهل على أي إنسان أن يطرح تساؤلات لا تنتهي .. ولكن هل بالضرورة أن يجد إجابة على ذلك؟

إذا كان الله خلقنا ..فمن خلق الذي خلقنا؟ وأين الذي خلقنا؟ ولماذا خلقنا وهو لا يحتاجنا؟ وغير ذلك من الأسئلة التي يطرحها الناس.. وسبحان رب الناس.

يستطيع عقل الإنسان أن يطرح ما يشاء من التساؤلات بكلمة واحدة هي لماذا.. حتى يدرك أن تضاؤل حظوظه في الحصول على تفسير التفسير وعلة العلة في كل مرة لا يتعارض مع كونه حصل على التفسير الصحيح للتساؤل الأول.. وذلك لأن مدارك الإنسان وعقله محدودة ولن تحيط بكل شيء ..فنحن نستطيع أن نجيب على أول سؤال خاضع لحدود عقلنا وإدراكنا كأن نقول: من خلقنا؟ فنجيب بأنه الله.. ولكن ما أن نبدأ بطرح المزيد من التساؤلات حتى نصل لمن خلق الله؟ ولماذا خلقنا؟ فنجد أننا نغوص في المجهول ونبتعد عن حدودنا العقلية شيئاً فشيئاً حتى نجهل الإجابة في كل مرة.. ومن أجل ذلك سكت الأنبياء.

نبه ابن خلدون على عدم تمكننا من البحث في هذه الأسئلة, كما أن الوقوف عندها لا يقدح في العقل ومداركه. بل العقل ميزان صحيح, فأحكامه يقينية لا كذب فيها, غير أنك لا تطمع أن تزن به أمور الغيب والآخرة وحقائق النبوة وحقائق الصفات الإلهية وكل ما وراء طوره, فإن ذلك طمع في محال..

كما أن الإمام الغزالي والتفتازاني وغيرهما.. كانوا دائماً ما يؤمنون بأن العقل قد يخدع الإنسان في إدراكه عبر الحواس.. فالبشر قديماً كانوا يرون الشمس نجماً مضيئاً صغير الحجم ولا يدرون بأنها أكبر من الأرض حجماً, لذا نجد اليوم من المصطلحات ما يعرف بالخدع البصرية التي تؤكد محدودية قدرة الحواس إلى جانب محدودية قدرة العقل مهما بلغ نبوغه.

وقد قرأنا في عصر الفلاسفة الإغريق والعلماء المتقدمين بل وحتى الملاحدة, فوجدنا أن الجميع اتفقوا بأن هنالك أموراً يقف العقل عندها ولا يحيط بها علماً, ولكن هل بمقدور العقل أن يعطي إشارات تبعث على

الراحة؟ أعني هنا إشارات واستنتاجات نابعة من تقصي الحكمة والإيمان بوجود حكمة خلف كل شيء خلقه الحكيم.

من خلق الإله؟

هذا السؤال أحد أكثر الأسئلة التي حيرت العلماء والفلاسفة القدماء, حتى تبادر إلى الأذهان المغالطة التي يحملها هذا السؤال وذلك في جعل الخالق مخلوقاً.. كان لا بد أن ينتهي الكون عند الموجد الأول الذي لا وجود قبله والذي انطلق منه الوجود, وهذا الذي حدا ببعض المفكرين والفلاسفة قديماً إلى تسميته بـ (واجب الوجود) أو (العلة الأولى) كما سماها أرسطو حين قال: (إن كل متحرك لا بد له من محرِّك, وهذا المحرك لا يمكن أن يحتاج إلى محرك آخر يستمد حركته من غيره وإلا لتسلسل الأمر إلى غير نهاية).

وبذلك يكون واجب الوجود هو المتسبب الأول في الموجودات والمعلولات.. وهو الذي يعتمد وجود كل شيء في هذا الكون على وجوده.

ومن هنا انقسم الناس, إما مؤمنين بوجود خالق فكانت علتهم الأولى هي الإله, وإما ملاحدة لا يؤمنون بذلك فكانت علتهم الأولى هي المادة أو (الهيولى) أو الطاقة أو الماء أو النار أو الهواء.

وبالتالي فإن وجودنا في هذا الكون لا يخرج عن أحد أمرين: إما أن يكون بسبب وجود خالق قدر لنا هذا الوجود أو أن يكون من غير خالق! كأن يكون لأسباب طبيعية أو نتاج مصادفة أو عشوائية أو غير ذلك.

السبب الأول يؤمن به المؤلهون والثاني يؤمن به الملاحدة, وهذا سبب الصراع الفكري بينهما. ولو أردنا أن ننظر في السببين المحتملين لنشأة الكون والحياة.. فإننا نجد أن الطرفين قد اتفقا على وجود علة أولى لنشأتنا من العدم.

ولو أردنا أن ننظر في السببين المحتملين لنشأة الكون والحياة.. فإننا نجد أن الطرفين قد اتفقا على وجود علة أولى لنشأتنا من العدم. فلو سألت الملحد مثلاً عن نشأة الكون فسيقول لك بأن آخر ما عرفناه وتوصل إليه العلم هو أن الكون بدأ قبل 13,7 مليار سنة عن طريق الانفجار الكبير, وإذا سألته من أين جاء الهيدروجين أو الطاقة أو القوى الأربع أو المادة الأولى(المفردة) التي انفجر منها الكون فسيقول لا أعلم! نسي هذا الملحد أو تناسى أن العلة الأولى عند المؤمنين بوجود خالق هي علة (عاقلة وقادرة وخالقة ومدبرة وقائمة بذاتها فلا ينطبق عليها ما ينطبق على المخلوق) بينما العلة الأولى لديه ولدى سائر الملاحدة هي (مادة أو طاقة) غير عاقلة, لا تفنى ولا تستحدث من العدم, ولا بد أن تكون نشأتها خاضعة للتفسيرات الطبيعية وللعلوم التجريبية

كالفيزياء والكيمياء, وعلى هؤلاء الملحدين أن يجيبوا هنا متى وكيف قفز الوجود من العدم قبل الانفجار؟ ومن أين جاءت أصلاً تلك القوانين التي جعلت المادة أو الطاقة تتفاعل وتنفجر؟.. هنا سيصطدم من جعل علته الأولى خاضعة لأسباب طبيعية بهذه الثغرات والمشكلات المترتبة على ذلك, والتي وبالتأكيد لن يجد له مخرجاً في الإجابة عليها, صحيح أن المؤمنين بوجود خالق لا يمانعون من قبول بداية الكون بنظرية الانفجار الكبير, ولكنهم بالتأكيد لن يواجهوا هذه المشكلات في تفسير من أين جاء هذا الانفجار.. كما أن القول بأن العلة الأولى أو واجب الوجود هي مادة أو طاقة غير عاقلة كما يقول الملاحدة فإنه يترتب على ذلك الكثير من التساؤلات المجهدة, فكيف يستوي مثلاً أن نقول بأن العلة الأولى كانت مادة ونتج عنها كون بهذه الدقة والتصميم؟

ولن ينتهي تعداد ما يدل على أن خلف هذا الكون عقلاً مدبراً ومصمماً قائماً بذاته واجب الوجود.. ينتهي إليه كل شيء ويبدأ كل شيء منه..

ستواجه من الملحدين من يقول: (إن الكون ناتج من عشوائية ومصادفة وأنه لا يوجد هنالك أي تصميم ذكي ولا نظام دقيق.. وقد فات هؤلاء أمران: الأول أن العالم ليس مجهزاً لخروج الحياة وحسب ولكن لخروج كائنات حية ذكية منطقية ترصد وتفهم هذا التناغم, الأمر الثاني أن غزارة ما في الكون من توافق تفوق احتياجات الكائنات الحية وتحقق لها الرفاهية والاستمتاع, خاصة الإنسان صاحب الاحتياجات النفسية المتميزة.

نخلص من ذلك إلى أن كل الموجودات (ممكنة الوجود) وهي ليست إلا حوادث ترجع إلى موجدها الأول وهو (واجب الوجود).. بحيث يستحيل على العقل أن يتصور أن يكون واجب الوجود مادة غير عاقلة أو عشوائية أو مصادفة.. بل هو حكيم مطلق القدرة والحكمة وهو خارج الزمان والمكان ولا ينطبق عليه ما ينطبق على مخلوقاته.

ذات الإله:

ظلت الذات الإلهية من الأمور التي تشغل تصورات بعض الأمم الوثنية السابقة, فنجد عبر تاريخ أن هنالك آلهة وثنية كانت في يوم ما شخصيات حقيقية, وعليه تمت المغالاة في شأنهم لدرجة التقديس والعبادة حتى تم رفعهم مع الأيام إلى الربوبية والألوهية, فيقومون بتجسيدهم على شكل تماثيل ومنحوتات من أجل عبادتها وتقديم القرابين ونحوها لها.

من هنا بدأت محاولات إدراك ذات الإله تزاحم الديانات السماوية التي جاءت لتنزه الإله عن التجسيد أو المقارنة بالبشر أسوة بالأمم الأخرى, فنجد أن التوراة المحرفة مليئة بإطلاق الصفات البشرية على الإله كأن ينام ويتعب ويندم ويرتاح.

التجسيد ومحاولات رسم صورة ذهنية بشرية للإله ظلت ترافق اليهود حتى وقعوا في مشكلة اعتقاد أن الذات الإلهية (مذكرة الجنس) وهذا تطاول في تحديد جنس الإله! المشكلة أن هذا التطاول انسحب على الأجيال اليهودية عندما اختلطت الثقافة اليهودية بالكنعانية والسومرية والبابلية فنتج عن ذلك ما تم اكتشافه مؤخراً من الآثار في شمال جزيرة سيناء وفي الأراضي الكنعانية مما يدل على ما آمن به معظم اليهود من أن (يهو) أي رب بني إسرائيل قد تزوج من (عشيرة) إحدى الآلهة الوثنية القديمة. والعجيب أن هنالك من استطاع أن يقف حتى في التوراة على نصوص كانت تؤكد حدوث هذه الزيجة قام بكتابتها الكهان والأحبار ووضعوها في كتابهم المقدس.

والأمثلة على ذلك كثيرة لما وصل إليه اليهود قديماً من جرّاء تصادم الحضارات, هذا ولم تكن الديانة المسيحية بأفضل حال منها, فالديانة المسيحية تقوم على تجسيد الإله على ثلاثة أقانيم مختلفة وهي (الأب والابن والروح القدس),وفكرة تجسيد اللاهوت في ناسوت بشري-كأن يكون المسيح هو الله- تدل على تصور سابق لدى المسيحيين بأن الله (رجل)! وهذا فيه تطاول في تحديد جنس الإله فضلاً عن تجسيده بهيئة بشرية, وبالتأكيد أن هذا التجسيد أثار غضب وحنق وردة فعل بعض النساء قديماً لما فيه من إعطاء أفضلية للجنس

الذكوري الذي تجسد فيه الإله!. وأرى أن هذه ردة فعل طبيعية لكل من حاول أن يحدد جنس الإله أو شكله تبارك وتعالى.

(ما هو جنس الخالق هل هو ذكر أم أنثى؟). أعلم أن مثل هذا السؤال قد يشغل عقول بعض المسلمين, لأنهم يرون في القرآن أن الله سبحانه يذكر نفسه بضمائر مذكرة كقوله: (اقرأ باسم ربك الذي خلق) فكلمة الذي تعطي انطباعاً ذكورياً في أذهان الناس بينما أن الضمائر المذكرة تطلق في اللغة على المجهول أيضاً, فلو طرق أحد عليك الباب فستقول: (من الطارق؟) حتى ولو كان الطارق امرأة لما يعود إليه جهلك بهوية الطارق. فالله سبحانه أنزه وأقدس من أن يكون ذكراً أو أنثى, ولكي نجيب على هذا السؤال يجب أن نقف عند بعض النصوص والآيات في القرآن لتوضيح ذلك.

في البداية .. نجد أن الله في القرآن الكريم كان يذكر لنا آيات عجيبة تستحق التدبر, مثل قوله :(وما أرسلنا قبلك من المرسلين إلا إنهم ليأكلون الطعام) وقوله:(وقالوا مال هذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق), والملاحظ هنا أن الله سبحانه كان يذكر من صفات أنبيائه أنهم يأكلون الطعام! وقد يقول أحدنا: جميع البشر يأكلون الطعام أيضاً, فما الجديد أو الغريب بهذه الآية وذكر الرسل معها؟! في الحقيقة هذا ليس تخصيصاً للأنبياء وإنما إشارة من الله إلى أنه حتى الأنبياء يمرون بدورة الحياة الطبيعية للبشر، فمن يأكل ليسد جوع جسده ستجعل جسده يمر بمرحلة أخرى (إجبارية) وهي مرحلة النوم، بمعنى أن الأكل والنوم لا منأى لنا عنهما وانقطاع الإنسان عن أحدهما أو كليهما سيؤدي به إلى الموت.

وإذا سلمنا أن من متطلبات العيش للكائنات الحية هي أن تأكل الطعام وتنام حتى لا تموت , فذلك يعني أنها معرضة للموت كتهديد محتمل يحول دون خلودها, لذا تسعى هذه الكائنات للحفاظ على سلالتها وتخليد نفسها في الدنيا, وذلك من خلال وسيلة واحدة فقط وهي الإنجاب بالتكاثر الجنسي, وبالتأكيد أن الحاجة لمثل هذا التكاثر تقتضي وجود الجنسين (الذكر والأنثى)!

ولو أردنا أن نلقي الضوء على غير البشر، نجد أن (الجن) أيضاً يأكلون الطعام، وبصرف النظر عن كيفية أكلهم التي نجهلها إلا أن إشارة النبي محمد عليه الصلاة والسلام لأكل الجن ستجعل الجن يدخلون في دائرة البشر نفسها وهي (أكل, نوم, تكاثر جنسي وموت), وإذا سلمنا أن الجن تأكل الطعام وتنام وتموت فهي بحاجة لتكاثر جنسي كما يفعل الإنسان من أجل بقاء النوع, وبالتالي فلا بد من وجود ذكر وأنثى في عالم الجن!..

وبعد هذا السرد نستطيع الآن أن نستنتج العكس فمن لا يأكل الطعام لا ينام وبالتالي لا يموت، ومن لا يموت فهو قائم بذاته ومنزه من الدخول في دائرة الجنسين والحفاظ على السلالة.

إذاً من هو الإله الذي لا يأكل الطعام؟

الجواب بالتأكيد هو الله سبحانه والملأ الأعلى من الملائكة، ولو أمعنا النظر في الملائكة فسنجد أنهم فعلاً لا يموتون في الدنيا لذا فهم باقون ليوم الدين, وبما أن الملائكة لا تنام ولا تموت, إذاً هي لا تأكل الطعام ولا حاجة لها أن تتكاثر جنسياً فهي باقية إلى قيام الساعة, وبالتالي فلا حاجة لأن يكون لها جنس كأن تكون ذكوراً أو إناثاً! نعم هم لا يأكلون, فلو أكلوا فذلك يعني نومهم وموتهم وحاجتهم للتكاثر مما يتعارض مع نصوص القرآن التي تنص على بقائهم طويلاً حتى قيام الساعة, وذلك لإخلاصهم في عبادة الله وحمل عرشه, ولا يتعارض مع احتمالية أن يتوفاهم الله بقدر معلوم آنذاك.

وبالعودة الآن إلى الآية الكريمة التي ذكرناها في البداية، نجد أن المقصود بها هم من جعلوا بعض الأنبياء آلهة كالنصارى مع عيسى وبعض طوائفهم التي قامت بتأليه أمه مريم العذراء. فالله هنا يخبرهم بأن كل الأنبياء كانوا مجرد (بشر) يأكلون الطعام وبالتالي فهم ينامون ويتكاثرون جنسياً ويموتون، فكيف تكون هذه من صفات الألوهية؟!

ومن هذا المنطلق، نجد أن من أكثر الأمور التي أغضبت الله هو قولهم أن لله ولداً, لما في ذلك من جر الذات الإلهية إلى دائرة الأكل والنوم والموت والحاجة لوريث وسلالة للحفاظ على النوع!

وبالوقفة مع أهل الجنة والنار قد يتساءل أحدنا ويقول بأن لديهم أكلاً فكيف يأكلون الطعام وهم خالدون بينما أكل الطعام يترتب عليه الموت كما وضحنا آنفاً؟ والرد على ذلك أن حال الآخرة مختلف تماماً عن حال الدنيا، فالطعام الموجود في الجنة لا ينطوي عليه الدائرة الدنيوية من أكل ونوم وموت. وهذا مما يدل على أن الطعام الموجود فيها هو على سبيل النعيم واللذة وليس لشد الجوع درءاًللموت، فلا موت هناك ولا جوع. الحال نفسها في النار، فأكل أهل النار على سبيل الذل وليس حاجة أساسية لحياتهم فيها.

بل أن هنالك من قال بأن تغير الطبيعة البشرية في الجنة سيشمل حتى الناحية الجنسية، حيث لن تكون ممارسة الجنس في الدنيا هي نفسها في الآخرة لما لاختلاف مقاصد الدنيا الجنسية من الإنجاب ونحوه عن الآخرة.إذاً فالذات الإلهية منزهة عن التجسيد والتصور والتمثيل وكذلك عن الخصائص البشرية كأن تكون ذكراً أو أنثى، أو تتعرض للنوم والموت..سبحان الله عما يصفون!

قد يقول قائل: إذا كانت الذات الإلهية بعيدة كل البعد عن الإدراك والتصور البشري فيكف ورد في الحديث الصحيح قول النبي: (خلقنا الله على صورته)!؟ لا شك أن المقصود بالصورة هنا أنها اسم جامع للأسماء والصفات أيضاً، فمن رحمة الله بالإنسان أن خلقه على صورته حتى يدرك الإنسان أن الله رحيم معنى

الرحمة, ويدرك عندما يسمع أن الله كريم معنى الكرم, لأن الله خلق في الإنسان الرحمة والكرم, وقس على ذلك معظم صفات الله.ولكن لا أحد من البشرية يستطيع أن يتصور أن الله لم يلد ولم يولد! كون الله لم يخلق لنا هذه الصفة فتعجز أذهاننا عن إدراكها.

خارج المكان والزمان:

لا شك في وجود نسبة كبيرة من الناس تخطئ في اعتقادها بأن لله مكاناً وهذا المكان في السماء، وقد كان اعتقادهم هذا نتيجة طبيعية للآيات الكثيرة التي كانت تذكر أن الله في السماء كقوله تعالى: (أأمنتم من في السماء). إلا أن هذه الآيات لا يمكن تفسيرها بمعناها الظاهر، لأن السماء خلقها الله ومحال أن يكون الله فيها,وإنما كان المقصود بالآيات التي تدل في فهمها الظاهري على أن الله في السماء هو أن قدرة الله تتجلى في السماء الخاضعة لملكه, بدليل وجود آيات أخرى كانت تدل في معناها الظاهري أن الله في الأرض أيضاً كقوله تعالى: (وهو الذي في السماء إله وفي الأرض إله) وتعالى الله أن يكون في السماء أو في الأرض مكاناً, وإنما المقصود ملكوته وتجلي قدرته على السماء والأرض.

وينطبق الكلام نفسه أيضاً على الزمان، فالله غير متحيز في زمان، فالزمان مخلوق، ووجود الخالق خارج الزمان يساعدنا على إدراك عظمة صفاته, فهذا يعني أن الله لا ينسى بينما نحن ننسى ما حدث في الماضي والإله لا ماضي عنده! وأيضاً يعني ذلك أن الإله لا يتوقف عن الفعل، فالتوقف عن الفعل يعني انقضاء زمن هذا الفعل! وكذلك يعني أن كل شيء يفعله هذا الخالق يفعله لحظياً، فهو لا يفعل شيء قبل شيء، ولكن قد تظهر لنا بعض أفعاله قبل البعض الآخر.

مفاتيح الغيب التي لا يعلمها إلا الله:

قد ورد في سورة لقمان قول الله: (إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام وما تدري نفس ماذا تكسب غدا وما تدري نفس بأي أرض تموت), جميعنا نعرف أننا نعيش في زمن ثورة علمية تجعل

بإمكان أي ملحد أن يقول إن العلم قد قضى على هذه الآيات بعد ما صرنا نكشف ما وراءها من غيبيات..! فهم يقولون إن تقدم الطب استطاع أن يعرف ما في الأرحام ويحدد جنس المولود، ونحن لا ننكر هذا الكلام، بل أننا لا ننكر حتى العلم المعني بالتنبؤات الجوية وأحوال الطقس.

قد أخبرنا الله كتابه عن وجود نوعين من العلم:

العلم الأول: هو ما يعلمه الله تعالى كعلم الغيب والساعة والروح والغيث وما في الأرحام وما تخفي الصدور.

العلم الثاني: هو العلم الإنساني الذي خصه الله بالبشر.

بمعنى أن هناك علماً ربانياً وعلماً إنسانياً، والمشكلة حصلت عندما جزم بعض المتدينين قطعاً أن الله لن يطلع أحداً على علمه إذ جعلوه خاصاً به دون دليل! فمن يتأمل في القرآن سيجد أن الله وضع استثناءات كثيرة مرهونة بمشيئته يؤكد بها أنه هو من يطلع الخلق على علمه (ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء).

الله سبحانه إذا أمر بشيء فلا مانع من أن يطلع ملائكته ومن شاء من خلقه عليه، فنحن حين نتنبأ بحدوث شيء قد أمر الله به سلفاً لا يعني أننا سبقنا الأمر الرباني أو علمنا شيئاً خاصاً به! بل حتى الغيب وهو من أبرز العلوم الربانية، لم يذكر الله في كتابه قطعاً أنه لن يظهر عليه أحداً بل قال: (فلا يظهر على غيبه أحدا , إلا من ارتضى من رسول).

اليوم للأسف نجد هناك من طمس هذه الاستثناءات التي تبين إمكانية أن يطلع الله خلقه على (ما يشاء) من علمه إذا أمر بذلك، وبالتالي حصل هذا التعارض بين العلم والدين! فلا تعارض بين العلم والدين إلا لدى أصحاب التأويلات المخطئة، فالعلم فضل، والله يؤتي فضله من يشاء من خلقه, وفوق كل ذي علم عليم.

لماذا خلقنا الله

سألت معلمي حينما كنت في المرحلة المتوسطة: لماذا خلقنا الله فأجابني بالآية (وما خلقت الجن والأنس إلا ليعبدون) وأكمل أن الغاية من خلقنا هي العبادة ولكن ما زلت أتساءل لماذا خلقنا وهو لا يحتاج لعبادتنا
فلما سألت والدي لثقتي بفلسفته فقال: خلقنا لتتجلى أسماؤه وصفاته فلا يصير الخالق خالقا إلا بوجود مخلوقاته ولا رازقا إلا بوجود ما يرزق ولا شافيا إلا بوجود من يشفي، ولا رحيما إلا بوجود من يرحمهم.. وكانت

إجابة والدي مقنعة ولكن تلاشى هذا الاقناع وكانت إجابة والدي بمثابة التخدير فكأنه يقول الله يخلق ليكون خالقا أو رازقا بينما اكثر من نص قرآني يؤكد أن الله غني حميد ومن هنا عدت لنقطة البداية وبدأت أطرح السؤال من جديد حتى توصلت لقناعة أن الموضوع فوق قدرات العقل البشري وإن بحثي هذا مضيعة للوقت ولكن حينما بدأت دراستي الجامعية في تخصص علم الإدارة اتضحت لي مغالطة كبيرة في هذا السؤال وهو بحثنا في حاجة الله وعدم حاجته فما الدليل على ان الله لا يحتاج من الذي نسب حاجة لله فبدأ بالبحث بعدم حاجته، لا يوجد نص قرآني ينسب الحاجة للذات الإلهية لأن الحاجة تعني النقص وعدم الحاجة تعني وجود حاجة الا أنها مشبعة ومعطلة والله أنزه من أن ننسب له الحاجة له بالتعطيل والأجدر أن تنزعها تماما وذكري لعلم الإدارة أنه فرق بين الحاجة والرغبة والإرادة فالحاجة شعور بالحرمان وحالة ملحة للقضاء على هذا الشعور والرغبة هي الميل لتحصيل الشي والإرادة هي قوة كامنة في ذواتنا مصدرها الطموح للوصول للأفضل والغالبية اجمعوا أن الارادة تنبع من قوة لا ضرورة وحرية لا حاجة وارادة الإنسان شيء جزئي والإرادة المطلقة الوحيدة في الكون هي الله مع التنويه أن الله خلقنا وفقا لإرادته لا يعني أنه خلقنا عبثا بل لحكمة قد وضحها في مواضع عدة في القران ومن المهم أن نعرف أننا نحن من يستفيد من هذه العبادة ونحتاجها فأركان العبادة وقوانينها هي نظام حياة متكامل وخير من شرح ذلك هو علي عزت بيغوفيتش في كتابه الاسلام بين الشرق والغرب في فصل الاسلام والوحدة الثنائية القطب بأن الاسلام هو الدين الوحيد الذي ينصب في مصلحة قطبين مختلفين: الإله المعبود والإنسان العابد، ولو لاحظنا في القران سنجد تهذيب النفس وتدريبها منهج رباني ولقد أراد الله لنا أن نكون خلفاء في أرضه وقد جعلنا نمر بالحياة الدنيا تمهيدا لأجل أن نعرف من هو ربنا وما عطاؤه وما نعيمه وما ثوابه وعقابه، وكل ذلك نوع من التهذيب، ونحن لا نسعى للإجابة على هذه الأسئلة لإرضاء الملحدين كما يفعل بعض المسلمين، بل نفعل ذلك بحثا عن اطمئنان قلوبنا وايمان منا بوجود حكمة ربانية خلف كل شيء، ربما ندرك هذه الحكمة لتتبعها وربما تقف عند حدود عقولنا الا أن تدبر معاني القرآن يؤكد لنا وجود إشارات تحمل في طياتها رسائل غيبية.

معضلة الشر:

كانت معضلة الشر أكثر المعضلات التي حيرت العلماء والمتدينين عبر التاريخ أمثال (ابن سينا، وابيقور) وكان لها الدور في إلحاد أشخاص مؤمنين فهم لا يقتنعوا بوجود الله رحيم مع وجود الشر، وقد وضع ما يسمى بـ(قياس أبيقور) مبنيا على عدة تساؤلات حيث يقول أبيقور:

- الله وحده قادر وقدرته بلا حدود
- إذن الله قادر على إزالة الشر في هذا العالم
-الله أيضا رحيم ورحمته بلا حدود
-لكن الشر دائما موجود
- إذن الله لم يقم بإزالته
- فإن كان قادرا على إزالة الشر ولم يفعل إذن فهو ليس رحيما
- وإن كان رحيما ويريد إزالة الشر وذلك الشر مازال قائما إذن فهو ليس قادرا

والحقيقة أن ابيقور واتباعه فاتتهم أمور كثيرة:

أولا: اعتبار كل الشر كيانا مستقلا قائما بذاته وليس غيابا للخير

جعل وجود الشر برهانا كافيا لعدم وجود إله، كأن يكون وجود مرضى نافيا وجود أطباء

بناء على هذا البرهان على أحد مبادئ المنطق الارسطوطاليسي القديم والقائل بعدم التناقض والذي يخالف العقل والمنطق الحديث فالشيء لا يُعرف إلا بنقيضه.

تساؤلات أبيقور بخصوص عدم قدرة الإله تنطبق على اتباع الآلهة الإغريقية الذين يرون الشر عارضا للخير الذي من عند الإله.

وجميع هذه التصورات السابقة لا تنطبق على الإله الوحيد الذي قال (ونبلوكم بالشر والخير فتنة) ويقول انطوني بعد عودته من إلحاده: لا شك أن معضلة الشر والتي كانت وراء اتجاهي للإلحاد تعتبر مشكلة لها وزنها عند الفلاسفة، لكني ايقنت إن عدم فهم هذه المشكلة لا ينبغي أن يلغي القناعة بوجود الإله، ويقسم انطوني الشر إلى قسمين: نوع من كسب الإنسان وهو ما يشوب النقص البشرية من نقائص ونوع لا دخل للإنسان كالزلازل والفيضانات، وقد تمكنت لاحقا من أن استوعب سبب وقوع هذه الشرور داخل منظومة الخير من خلال بعض التغيرات:

- الطبيعة بها قوانين، ولا يمكن ترك الطبيعة بدون قوانين وإلا خضعت للفوضى .

- منظور الديانات في الحياة بعد الموت وما يحققه من صبر الإنسان على الابتلاء، ومن ثواب في الحياة، هو التغير الأكمل لمعضلة الشر

أورد ابن سينا في كتابه النجاة كلاما جميلا مضمونه أن الشر هو قياس إلى السبب القابل له كالنار إذا أحرقت فإن الإحراق كمال النار لكنه شر بالقياس إلى من سلب سلامته بذلك لفقدانه مافقد.
إن الله لم يأمر بالشر ولكنه سمح به لحكمته.

هل الإنسان مخير أم مسير؟

إن الإنسان مخير فيما يعلم ومسير فيما لايعلم، ولن يحاسبك الله على أمر سيرك عليه والشواهد في جسدك كثيرة علىأنك مخير ومسير فأنت لا تتحكم بدقات قلبك ولكن تتحكم في يدك، ولابد أن يعرف المسلم أن الكتابة لادخل لها في تصرفاته أبدا فلو كنت أستاذا وقلت هذا طالب مجتهد سينجح وهذا مهمل قد يرسب، فهل اذا دخل الامتحان سيكون رأيك سببا في نجاح هذا أو رسوب ذاك، طبعا لا فلا صلة لعلمي السابق بتصرفات هؤلاء والعلم الالهي السابق لا صلة له بأعمال الخلق.

كيف يصف الله نفسه بالمتكبر؟ وكيف يكون شديد الرحمة والعذاب معا؟
فيما يخص الكبر يجب أن نعلم (ليس كمثله شيء) فالتكبر عند الله ليس كالبشر، وتكبر الشخص يعني ترفع عن أقرانه فلا يتكبر الشخص وحده ومع نفسه والله واحد فيتكبر على من؟ فالتكبر هنا ليس المعنى السلبي الذي يمارسه الإنسان مع الغير وانما بمعنى تجلي الله وتعاليه عن معاصي خلقه وأما بالنسبة لشدة الرحمة والعقاب فشدة عذابه ملازمة لشدة رحمته فلو كنت ملكا عادلا وجاءك شخصان يتحاكمان إليك أحدهما قد قتل الاخر ظلما فمن الطبيعي أن تعذب القاتل رحمة بالمقتول.

أنبياء الشرق:

تطرح كثير من التساؤلات حول الأنبياء، لماذا بعثوا في منطقة الشرق الأوسط؟ وأين اثارهم على أرض الواقع؟ ولماذا لا نجد لهم أدلة إلا في الكتب السماوية؟ وفي طرحنا هذا لابد أن نراعي:

- أخبر القرآن عن وجود انبياء لم يقصص لنا عنهم
- إن القرآن أخبرنا (وإن من أمة إلا خلا فيها نذير)
- إن القرآن ذكر إشارات عالمية للرسالات الربانية.
- وقد اختصت الشرق بالرسالات لما لها من قوة وهي بمثابة الجوهرة بين الشعوب حتى أن أنظار مختلف الحضارات تنصب نحوها وحيث تكثر الحضارات والامبراطوريات والمماليك يكثر الفقراء والمساكين والعبيد ويكثر الظلم والطبقية وتكثر الحاجة للمصلحين.

الغاية من رسالات الأنبياء بعد الإيمان بالله وعبادته هي إصلاح حال المجتمعات والشعوب, ونشر الخير ومساعدة الفقراء والمحتاجين , لذلك نجدهم هم أول من يعتنق دعوات الأنبياء , وقد ورد ما يؤكد ذلك في نصوص قرآنية كثيرة كقول الله : (وما نراك اتبعك إلا الذين هم أراذلنا).

وتعلقهم برسالات الأنبياء يؤكد نبل هذه الرسالة وصدق المرسلين , ولقد كانت رسالة موسى هي الحرية ضد الطغيان والعبودية , ورسالة عيسى هي الثورة ضد الاحتلال والخذلان وحيث تكثر الحضارات والإمبراطوريات والمماليك , يكثر الفقراء والمساكين والعبيد ويكثر الظلم والطبقية والاستبداد فتكثر الحاجة إلى المصلحين!

تلك الغاية جعلت الأيادي تشير بأصابع النبوة والرسالة إلى شخصيات كثيرة ساهمت في هذا الاصلاح حول العالم , فنجد من قال من الطائفة الأحمدية بأن بوذا نبي , ومن قال بأن هيرمس هو نفسه أخنوخ / إدريس عليه السلام , ومن قال بأن كونفشيوسوزرادشت نبيان ومرسلان , وهذا ما جعل أنصار الديانة البهائية يضمون كل هذه الشخصيات إلى زمرة المرسلين أو المظاهر الإلهية التي سبقت ظهور (حضرة بهاء الله) إلى جانب محمد وعيسى وموسى عليهم السلام.

وكذلك لا نغفل عن الفيلسوف العظيم سقراط الذي كان في بدايته سفسطائيا يرى أن الإنسان مقياس لكل شيء , وأن قوانين العدل والمساواة أساسها ميزان الناس للأمور , إلى أن صرح في أحد الأيام بأنه يشعر أن الوحي ينزل عليه وبإن الله يسيطر عليه ويرشده سواء السبيل , فكفر بتعدد الآلهة وقال إن الإله واحد وانطلق في

دعوته الإصلاحية إلى أن اصطدم مع دعوات الحكومة الديموقراطية آنذاك مما جعله يدفع حياته ثمنا لذلك بعد أن قاموا بتشربه السم.

إن ما فعله سقراط جعل من العلماء المسلمين من قال بإن الراجح أن سقراط كان من الأنبياء.

بالانتقال إلى الديانة الطاوية الصينية،نجد ان حكميها لاو-تسو أنه وضع في كتابه الشهير (رسالة في الطاو / Tao Te Ching)تعاليم مثرية ومفيدة , فيذكر من تعاليمه ان (الطاو) كمستوى قدسي خفي غير مشخص .

إن ما تذكره الطاوية من صفات (الطاو) والتي تعني الطريق الحق , شبيهة في تنزيه الخالق وصفاته عن صغائر الامور , وهي تتشابه مع ما قاله أرسطو عن صفات الإله (إله واحد احد , واجب الوجود ,غير مادي , مطلق القدرة والعلم , كامل الخير).

ومن الملاحظ أن ما ذكره ارسطو يلتقي مع ما جاء في القرآن من سورة الإخلاص , مما يؤكد تشابه الرسالات في التنزيه والتوحيد أن ابنة النبي خالد بن سنان عليه السلام جاءت إلى النبي محمد صلى الله عليه وسلم فبسط لها ثوبه

وقال :(هذه بنت نبي ضيعه قومه) وحين سمعته يقرأ قول الله : (قل هو الله أحد الله الصمد) قالت: كان أبي يقول هذا.!

في عام 216 م ولد (ماني) لأسرة إيرانية قرب مدينه طيسفون, الذي يعرف بلقب (نبي المانوية) نسبة إلى مقولته الشهيرة :(أنا الرسول الشكور المبعوث من أرض من بابل) حيث يذكر التاريخ أنه تلقى وحياً من السماء في سن الثانية عشرة من عمره ثم عاوده في الرابعة والعشرين وأمره الوحي هذه المرة بنشر دعوته.

إن التقاء أقوال هؤلاء المصلحين وتشابه الغاية مع من ثبت لدينا أنهم من الرسل والأنبياء , يجعلان احتمالية وفكرة كونهم أنبياء ورسلاً مقبولة , رغم أنه لا يمكن إثباتها , وكذلك أيضاً لا يمكن نفيها , فجميع الاحتمالات قائمة.

ذكر الدكتور عمرو شريف عن وجود حوالي مئتي حضارة حول العالم بعضها يجهل بعضاً ومع ذلك تتشابه قصصها التراثية بشكل كبير , فمعظم هذه الحضارات تتفق بأربعة أشياء أساسية بعيداً عن الجوانب الأخرى نذكر منها:

1- تضحية أب بأحد أبنائه بعد ما جاءه وحي رباني يأمره بذلك وما أن بدأ بعملية الذبح حتى تدخل الإله و أنقذ الضحية واستبدل بها بهيمة من الأنعام , ونذكر مثالاً على هذا التشابه بين قصة النبي إبراهيم عليه السلام مع ابنه وقصة أجاممنون مع ابنته أفيجينيا.

2- حدوث طوفان عظيم غرق فيه قوم فاسدون ونجا منه رجل صالح بعد أن حمل معه أتباعه , نذكر منه مثالاً على هذا التشابه بين قصه نوح عليه السلام وقصه أوتنابشتم.

3 -ولادة طفل في قوم ظالمين فيكون ذلك سبباً لأن تقذفه أمه في البحر بعد أن تضعه في صندوق , ونذكر مثالاَ على التشابه هنا بين موسى عليه السلام وسرجون الأكادي .

4- ولادة طفل من أم عذراء , ونجد التشابه كثيراً حول هذه القصة بين المسيح عيسى ابن مريم وبين كريشنا عند الهندوس .

ورغم قوة هذا التشابه بين القصص الدينية والوثنية , إلا أننا نجد من يحاول أن يجر القصص الدينية إلى دائرة الشكوك.

مع المعجزات:

لاشك أن المعجزات التي حصلت للأنبياء كانفلاق البحر لموسى وميلاد المسيح من دون أب وغيرها , كانت ومازالت من الأمور التي انشغل بالتفكير بها الكثير من الناس , فمنهم من حاولوا تفسيرها بشكل علمي ومنطقي إيماناً منهم بإن الجهل العلمي سابقاً جعل الناس يظنون أنها معجزات خارقة للطبيعة , حيث يرون أنها ليست سوى حقائق علمية لم تكتشف بعد , كأن يقولوا بأن البحر انفلق لموسى من قوه الرياح , بل إننا نجد من الطوائف الاسلامية مثل الباطنية , من ذهب إلى أبعد من ذلك , فهم يرون أن المقصود بعصا موسى هي عصا الحق التي انفلق بها الباطل والذي يرمز له البحر, ولهم الكثير من التأويلات على هذا السياق.

شخصياً لا أنكر أن الموضوع كان يقلقني يوما ما , وقد كنت ميالاً إلى الرأي الذي يقول بأن المعجزات التي حصلت للأنبياء , هي ضمن قوانينها ولكننا نجهلها , وقد كنت أتتبع الآراء التي تعطيني أجوبة منطقية , و قد فرحت ذات يوم حين قرأت عن قصة صائد السمك الإنجليزي المعروف باسم (يونس الجديد) الذي ذهب بقاربه إلى أحد الجزر ليصطاد السمك فتعرض مركبه لهجوم من حوت فسقط في البحر فالتقمه الحوت , وظل في بطنه ما يزيد عن 15 ساعة , وقد خرج حياً.

وقد كان ذلك ديدني , حتى توقفت مع نفسي و بدأت بالتساؤل وقلت : قبل أن أبحث عن أصل المعجزة ؟ ما الذي جعلني أراها معجزة من الأساس ؟ فوجدت أن الجواب هو إيماني بوجود قوانين في الطبيعة تم اختراقها ! وهنا قلت لنفسي : (دعك من كل المعجزات واسأل نفسك من أين جاءت) وعندما كان الجواب هو(الله) قلت: أوليس الله هو خالق قوانين الطبيعة وقادراً على إزالتها ؟ إذا كان الجواب بلى .. فلم القلق والمغالاة في المنطق! فجميع المعجزات ممكنة عقلياً وليست مستحيلة ,

وحتى نفرق بين الممكن والمستحيل عقلياً , نذكر قصة لطيفة يُروى أنها حدثت للفيلسوف الفرنسي (رينيه ديكارت) ففي ذات يوم وقف ديكارت أمام المرآة , وبدأ ينظر إلى نفسه فقرر أن يتخيل أنه عقلٌ بدون جسد , وقد تمكن بالفعل لأن ذلك ممكن عقلياً , بعدها حاول أن يعكس الحال , لكنه فشل فهذا مستحيل عقلياً ! عندها استنتج ديكارت أحد أهم أسباب الوجود وكتب في دفتر ملاحظاته إحدى أشهر مقولات التاريخ .. (أنا أفكر إذا أنا موجود).

كل المعجزات ليست مستحيلة عقلياً , بل هي ممكنة عقلياً , وأخيراً أرى أن من أعظم حكم الله خلف هذه المعجزات هي في تهذيب نفوسنا أمام ثورة العلم وتوسيع مداركنا في استيعاب فتنته , فلو كانت آفاق المؤمنين ضيقةً ولم يتم توسعة مداركهم بسماعهم عن حدوث معجزة لامرأة أنجبت من دون زوج , لوجدتهم قد كفروا اليوم بالدين أمام ثورة أطفال الأنابيب والاستنساخ والتلقيح الصناعي وغيرها , وعن حدوث معجزة انتقال عرش بلقيس من مملكة سبأ إلى أورشليم عند النبي سليمان في طرفة عين , لوجدتهم قد كفروا اليوم بالدين أمام الثورة التقنية , ولكن بفضل حكمة الله في حدوث ذلك صارت النفس مهذبة أمام قبول كل ما هو ممكن عقلياً.

وأين آثارهم ؟

وقد كانت النفس تراود النفس عن آثار الأنبياء , فلا نجد لهم أثراً مادياً ولا دليلاً حسياً غير ما وجدناه في الكتب المقدسة ! هذا ما دفعني قديماً إلى البحث أكثر , ومما زادني هو كثرة الأسئلة ومن هنا عزمت على البحث حول ذلك بعد أن سمعت عن وجود آثار مادية للأنبياء , فحملت أمتعتي وذهبت , وتفاجأت هناك بوجود الآثار , ومن هنا شعرت أن الغرض من وضع هذه الآثار قد يقف خلفه مساع تجارية , أو أن يكون أهلها عن حقيقتها غافلين , ومن تلك اللحظة و الفضول يتزايد لدي للبحث عن كذلك , بالتأكيد أننا لا نربط إيماننا بوجود الآثار من عدمها ! ولكننا نسعى لتعزيز هذا الإيمان , فقد خرج علينا الباحثان الألمانيان هانس

أولريخنيميتزوهيربتليغا بما يعرف بـ (نظرية الشبح) , ومفادها بإن هنالك مؤامرة على التقويم الزمني , حيث قاموا بالتلاعب وإضافة 300 سنة.

وهذا ما يدفعنا إلى عدم الانحراف خلف التشكيك , وعليه فإننا سنقوم باستعراض بعض قصص الأنبياء مع ما ثبت ظنياً أنه من آثارهم بإذن الله!

1- أين يوسف من التاريخ ؟

دخل يوسف مصر برفقة عزيزها كأحد العبيد إلا أن العزيز أمر بإكرام مثواه , حتى بلغ أشده وراودته (زليخة) عن نفسه وأودع السجن , وهناك برع في تفسير الأحلام وتعبير الرؤى , وقد أُخرج بعد ذلك من السجن ليفسر حلماً للملك وصار ذا حظوة لدى الملك حتى جعله على خزائن الأرض ليصبح يوسف عزيزاً لمصر والسؤال الآن : ما موقف التاريخ هنا ؟

ربما يسأل أحدنا نفسه فيقول: كيف يُخرج الملك سجيناً لمجرد تفسير حلم ! هل يُعقل بإن يكون بهذه الأهمية لدى المصريين القدامى؟

تجيب عن ذلك الباحثة المتخصصة في التاريخ المصري تذكر (كاسيا) في كتابها عن الآثار التي وجدت وأثبتت ولع المصريين القدامى بالأحلام, أنهم استحدثوا وظيفة لمفسر أحلام كان يشغرها رجل اسمه (غودايا) حيث تخبرنا التوراة عن حلم الملك الذي أخبر به يوسف , والقرآن أشار إلى الحلم نفسه الذي فسره يوسف للملك وحذره من قدوم سبع سنين قاحلة ويتخللها مجاعة وأن عليه الاستعداد لذلك!

ونحن نسأل أنفسنا هل ذكر التاريخ فعلاً ذلك؟

الجواب ظل مجهولاً إلى أن كشفت الآثار عن ذلك ، وهو ما يُسمى اليوم (لوحة المجاعة) بالقرب من أسوان .

التوراة والإنجيل وقعا في خطأ تاريخي كبير, تحديداً في قولهما إنه عندما صار يوسف عزيزاً لمصر جلب أهله وأسكنهم بمدينة رعمسيس , ومن المؤكد أن هذا الخطأ هو نتيجة للتحريفات البشرية , فكيف تكون له مدينة تحمل اسمه قبل وجوده...؟ لمزيد من التحري , قمت بالاطلاع على موسوعة الكتاب المقدس للنصارى العرب ولم يعجبني شخصياً تبريرهم لهذا الخطأ, فيقولون : (لا يعتبر ذكر اسم رعمسيس في سفر التكوين نوعاً من المفارقات التاريخية) ولا أعلم كيف فات هؤلاء إيمانهم بأن موسى عليه السلام هو من كتب الأسفار الخمسة الأولى من التوراة!

الباحثة الدكتورة (آيرينفورستنرمولار) تعتذر من المتدينين اليهود والنصارى وتقول إن الآثار تؤكد إن المدينة التي سكنها يوسف مع أهله كان اسمها : أفارس , والتاريخ يقول إنها كانت عاصمة مصر , وبعد التنقيب في مدينة أفارس حصل الباحثون على قبر عزيزها , ووجدوا نقوشاً إلى جانب تمثالٍ له تؤكد أن القبر يعود لرجلٍ سامي عبراني.

يقول الدكتور (روهل) إنه يشعر أن القبر والتمثال يعودان للنبي يوسف خصوصاً أنهم وجدوا القبر منبوشاً وقد أُخذت الجثة منه ! وذلك يؤكد ما ورد في التوراة من أن النبي موسى نبش قبر يوسف وأخذ الجثمان معه , تلبيةً لوصيته بأن يُدفن في أرض أجداده خارج مصر! كما جاء في التوراة (وأخذ موسى عظام يوسف معه) , نحن كمسلمين لا نمانع من تصديق قصة موسى ونبشه لقبر يوسف , نظراً لأنها وردت في أكثر من حديث صحيح أشهرها حديث (عجوز بني إسرائيل).

الجدير بالذكر أن علماء الآثار قاموا بعد ذلك بإعادة ترميم وتصميم تمثال (يوسف) فأخرجوه بصورة جميلة ووضعوه في المتاحف.

2- موسى والخروج:

مما لا شك فيه أن المقصود بالخروج هو حادثة انفلاق البحر وخروج بني إسرائيل من مصر.

ولد موسى في الحقبة التي أمر فيها الفرعون بقتل المواليد فقذفته أمه حتى لا يُقتل لتلتقطه (امرأةفرعون) وتسميه بـ (موسى) فما معنى اسمه أولاً؟

لقد اختلف العلماء والباحثون في ذلك , وانقسمت أقوالهم إلى رأيين:

1- الرأي الذي يتبناه علماء الآثار حيث يقولون بإن وجهاء الفراعنة كانوا يتخذون أسمائهم نسبة لآلهتهم , فيقولون إن موسى تربى في البلاط الملكي فكان لابد من أن يُنسب إلى أحد آلهتهم ولكن حين بعثه الله بالحق حذف اسم الإله وبقي اسمه : موسى!

2- الرأي الذي يتبناه معظم علماء المسلمين واليهود هو أن موسى اسم مركب أصله (موشيه) نسبة إلى الطريقة التي عُثر بها على موسى في صغره.

لقد تربى موسى في كنف فرعون برفقه أمه التي كانت ترضعه سراً حتى كبر , وكان يظن أنه ابنٌ لفرعون , حتى صارحته اخته بذلك , وتغيرت حياة موسى بعد ذلك , لم يعد يطيق موسى رؤية بني إسرائيل حتى الاستعباد والتعذيب فأراد إيقاف ذلك , ثم هرب الى مدين.

وتزوج من ابنة سيدها (يثرون) وقضى حوالي ثلاثين عاماً حتى أن كلمه الله وبعثه بالحق !

تقول التوراة إن الله كلم موسى في الشتاء بينما هو يرعى غنم (يثرون) ويبحث عن نار للتدفئة فحين رأى ما يشبه النار ذهب لها وهناك كلمه الله!

القرآن لا يخالف هذه القصة التي وردت في أكثر من موضع من القرآن :(وهل أتاك حديث موسى) وبعد أن كلمه الله وأمره بالذهاب إلى الطاغية فرعون , طلب موسى من ربه أن ينضم أخوه هارون معه, كونه أفصح لساناً منه , وبعد ذهاب موسى لفرعون وفوزه في تحدي السحرة أمر فرعون بقتلهم , وهنا هرب موسى وهارون وبني إسرائيل خلفهم فرعون وجنوده , وانفلق البحر بأمر الله وخرج بنو إسرائيل وموسى وهارون .. وما أن دخل فرعون وجنوده حتى أغرقهم الله , ظلت قصة خروج بني إسرائيل بدون دليل إلى أن اكتشف العلماء ما يعرف باسم(لوحة مرنبتاح) .

3- داود و جالوت:

قصتهم من أشهر القصص المذكورة في الكتب السماوية إلا أن القصة لم تلاقي قبولاً لدى الباحثين وتم تصنيفها لفترة كأسطورة !! ولكن تراجع الكثير من علماء الغرب عن رأيهم حين عثرت الباحثة الإسرائيلية اسمها (جيلا كوك) في بيت لحم على حجر منقوش به الأحداث! يحكى هذا الحجر أن هنالك خبر لا يصدق , داود الراعي قتل جالوت الضخم والكلام المنقوش عليه ليس له علاقة بالتوراة وإنما هو من رجل مؤرخ.

ونحن كمسلمين نؤمن يقيناً بقرآننا الذي ذكر القصة التي تحكي عن الصراع القديم بين بني إسرائيل والفلسطينيين وذلك حين عبر الإسرائيليون البحر وخرجوا من مصر متجهين لفلسطين ومن هنا بدأت الحرب

أشار القرآن إلى طبيعة أجساد سكان فلسطين الضخمة حين قال بنو إسرائيل لموسى: (إن فيها قوماً جبارين) وبذلك حكم الله عليهم بسبب تخاذلهم بالتيه 40 عاماً : (فإنها محرمة عليهم أربعين سنة يتيهون في الأرض) فظلوا في سيناء إلا أن دخلوها , وهناك كما تقول التوراة بدأت الحروب , إلى أن أخذ بنو إسرائيل فلسطين فكونوا أول مملكة لهم وجعلوا (شاول / طالوت) ملكاً لها , وفي تلك الحقبة كان هنالك راعي غنم صغير السن اسمه (داود) لفت النظر أمام وجهاء بني إسرائيل عندما اكتشفوا جمال صوته أثناء ترتيل التوراة استمرت الهجمات ولكن هذه المرة اضطروا أن يجلبوا معهم العملاق جالوت إلى جانب الجيوش الغفيرة و بدأوا بالزحف!

علم الملك الإسرائيلي بقدوم جيوش الفلسطينيين نحوه بقيادة جالوت فدب الرعب في قلوب بني إسرائيل , وهنا جمع طالوت كل شعبه !! وبدأ زحف الجيشين ومن حسن حظه أنه أخذ معه حتى الرعاة بأمر من الله , وهناك طلب جالوت مبارزة فردية فلم يخرج أي رجل من بني إسرائيل , فقال ملكهم من يخرج فسأزوجه ابنتي وأجعله ولي عهدي , ولم يخرج أحد ! وبعد طول انتظار خرج داود عليه السلام ممسكاً بنبالة الحجر خاصته , فاحتقره جالوت وقال : (ارجع يا طفل فأنت أصغر من أن تموت) فوضع داود حجراً ورمى به جالوت فشج رأسه :(وقتل داود جالوت) فانسحب جيشه هرباً على الفور !

ظهر مؤخراً (مالكولم غلادويل) وألقى محاضرة عن وجود حلقة مفقودة في التوراة , فيقول إن داود لم يقتل العملاق جالوت بنبالة كما نعتقد بل إنه أول من صنع بطريقة ما سلاحاً حديدياً يشبه المسدس , قتل به جالوت وهذا إن صح فليس حلقة مفقودة في القرآن الذي قال عن داود : (وألنا له الحديد).

سليمان والملكة سبأ:

ورد ذكر الملكة سبأ (بلقيس) وقصة إسلامها في القرآن وكذلك في الإنجيل ، وهذا تأكيد يعني أن جميع معتنقي الديانات السماوية الإبراهيمية يؤمنون بملكة شيبا أو سبأ ،ولكن بمقارنة قصتها مع القرآن سنجد هذه الاختلافات:

نجد أن التوراة والإنجيل هي التي طلبت أن تزور الملك سليمان ، فأرادت أن تذهب لتختبره وأخذت معها هدية عبارة عن توابل وذهب وحجر كريم ، كما لم تذكر الكتب السماوية مكان مدينة ملكة شيبا / سبأ ولا حتى اسمها ولا ديانتها التي كانت عليها ولا قصة نقل عرشها من سبأ إلى أورشلسم عند الملك سليمان وأنها أرسلت له الهدية ((وإني مرسلة إليهم بهدية)) ، ويختلف معهما بأن سليمان هو من طلب قدومها بعدما أخبره الهدهد : ((وجئتك من سبأ بنبإ يقين)) ، كما ذكر القرآن عرشها العظيم وذكر ديانتها القديمة في عبادة الشمس.

اليوم في عصر تطور العلم ، لا يزال العلماء عاجزين عن تحديد حقيقة ، حيث إن كلا من اليمنيين و الأثيوبيين يزعمون أن (بلقيس) كانت لديهم رغم أن علماء الآثار لم يجدوا دليلا حقيقيا لهذه الملكة ، وسبب سوء البحث يعود بشكل أساسي لاتكال علماء الآثار على كتابهم المقدس ، ولكن حين قرر بعض الباحثين أن يطّلعوا على القرآن ، ما ذكره الله في قوله ((لقد كان لسبإ في مسكنهم ءاية جنتان عن يمين وشمال)) يشير

فعلا إلى قوم سبأ في اليمن ، تحديدا سد مأرب الذي أثبت النقوش الموجودة عليه أنه تعرض قديما لسيل جارف ،ومن الآثار التي وجدت هناك في مأرب ، هو ما يسمى اليوم ب(محرم بلقيس) وهو مكان للعبادة كانوا يعبدون فيه حسب النقوش إلهة القمر.

ولكن الشق الآخر من الباحثين مازالوا على قناعة بأن ملكة شيبا/سبأ من أثيوبيا وهي التي قد أنجبت من سليمان عليه السلام الملك (منليك الأول) ، غير أن بعضهم تراجع حين وجد في أديس أبابا في أثيوبيا نقوشا تعود أصلا إلى الحضارة السبئية في اليمن ، وبذلك استطاعوا أن يجمعوا بين النظريتين بأنه لا مانع من أن تكون ملكة شيبا رحلت إلى أثيوبيا غير أن أصلها من مأرب في سبأ ، إلا أن الإشكالية المتبقية هي ماقيل من أن قوم سبأ كانوا يعبدون القمر ولم يكونوا يعبدون الشمس كما ذكر القرآن ! حيث يقول علماء الآثار إن النقوش الموجودة حول معبد بلقيس أو محرم بلقيس تثبت أنهم كانوا يعبدون القمر المتمثل في إلهة القمر.

وقد كان ها هو الرأي السائد إلى أن تدخل علماء مختصون في دراسة الآثار الدينية مثل (ريكمانس)وقالوا أن (ألمقة) هو إله الشمس.

حيث قالوا إن هنالك خطأ في قراءة النقوش ولابد من النظر لثقافة العرب في تأنيث الشمس وتذكير القمر ، إذ إن (ألمقة) هو إله الشمس وليس إله القمر كما يظن البعض ، وهذا تبيان لعظمة ودقة وصف القرآن للحضارات البائدة.

نبي وشبهة محيرة!

أولا : نوح والطوفان:

القصة في شكلها التوراتي الإنجيلي حسب ما ذكره الكتاب المقدس ، خالفت أبجديات العقل ، فقصة نوح حسب ما وردت في الكتاب المقدس تشير إلى عالمية الطوفان الذي غطى الأرض كلها ، كما تشير إلى أن نوحاً قد جمع الحيوانات كلها من كل زوجين اثنين ، و ذلك كله في سفينة طولها 300 ذراع ، وعرضها 50 ذراعا ، وارتفاعها 30 ذراعا !! ، وهنا نجد أن القصة نفسها تتناقض بعضها مع بعض في مواضع مختلفة ، مثال ذلك لو لاحظنا النص التوراتي الذي أوردناه قبل قليل فيما يخص حمولة السفينة من الحيوانات بأن تكون ((اثنين من كل))نجد نصاً توراتيا آخر في سفر التكوين يقول فيه : ((مِن جميع البهائم الطاهرة تأخذ معك سبعة سبعة ذكراً و أنثى)) ، سنذكر كيف أورد القرآن قصة الطوفان مهذبة:

rawafed_k
rawafed_k
rawafed-k
روافد المعرفة

1- إن من يمعن في النص القرآني سيجد أن الطوفان لم يكن عالميا ، بل إن الطوفان كان خاصاً بقوم نوح ((ولقد أرسلنا نوحاً إلى قومه إني لكم نذير مبين)) ومن الملاحظ أن جميع الآيات تشير إلى أن نوحاً كان نبياً مخصصاً لقوم مخصص وهذا ما يؤكد أن العقاب كان مخصصاً بإغراق هؤلاء القوم نظير ظلمهم وليس إغراق الأرض كافة فيؤخذ الأبرياء بذنب هؤلاء المجرمين ((إنهم كانوا قوم سوء فأغرقنهم أجمعين)) فكما هو واضح أن الإغلاق الجماعي كان عطفاً على قوم السوء فقط ، وهذا ما نريد توضيحه في حادثة طوفان نوح ، إن الله أغرق جميع من في الأرض كلها ، فالله لا يعذب حتى يبعث رسولا

2- إن النص التوراتي يحكي عن أن نوح حمل جميع الحيوانات الموجودة حوله ، الأنيسة والمتوحشة ، الطاهرة والنجسة ، من كل جنس اثنين اثنين ، أو سبعة سبعة!

ولكن التهذيب القرآني للقصة كان في توضيح أن نوحاً لم يحمل كل الحيوانات من كل جنس على الأرض بل من يلاحظ في النصوص التي ورد فيها الأمر الرباني بحمل الحيوانات سيجد أنها جاءت بعد أن بدأ عقاب الله ((حتى إذا جاء أمرنا و فار التنور قلنا احمل فيها من كل زوجين اثنين وأهلك إلا من سبق عليه القول ومن ءامن وما ءامن معه إلا قليل)) ومن غير الممكن أن يحمل نوح كل الحيوانات بعد أن جاء أمر الله في لمح البصر ، وبما أن القرآن خير من يفسر نفسه ، نجد في نص آخر أن الله تعالى قال : ((فأوحينا إليه أن اصنع الفلك بأعيننا ووحينا فإذا جاء أمرنا وفار التنور فأسلك فيها من كل زوجين اثنين)) ، فالسلك هو سهولة الإدخال والتمرير ، وهذا ما يتماشى مع الأمر الرباني في أن يسلك نوح ما تيسر من الحيوانات التي سينتفع بها معه بعد وقوع أمر الله وبدء العقاب.

3- إن عمر سيدنا نوح الذي ذكره الله في القرآن قد تجاوز الألف عام نظراً لأن عمر دعوته فقط كان يشير إلى هذه المدة كما ورد في قوله الله : ((ولقد أرسلنا نوحاً إلى قومه فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاما)) ، إن الواضح في القرآن أنه يحوي إعجازا بلاغيا وبيانيا ليس له نظير ، ومن أبرز العلوم القرآنية هو استجابة النص القرآني لمعالم العصر الذي يتحدث عنه ، مثل ((فإذا جاء أمرنا وفار التنور)) ، إذ كنت في صغري أظن أن المقصود بالتنور هو الذي يصنع به الخبز ، وهذا صحيح حسب ما ينطبق عليه معيارنا الزمني ، والكلمة في أصلها تعني (البركان) وهذا ما يعطي عذاب الله بعدا أكبر و أكثر رعبا ، بأن تنفجر الأرض والسماء وتفور البراكين ، ومما يؤكد أن منطقة قوم نوح التي وقع عليها العذاب كانت منطقة جبلية هو في قول ابن نوح ((سآوي إلى جبل يعصمني من الماء)) ، ولا يتعرض ذلك مع فهمنا الحالي من أن التنور هو مكان صنع الخبز ، لأن تسمية مصنع الخبز بالتنور الذي يتكون من فوهة تفور النار والحرارة منها قد يكون بإلهام من شكل البراكين.

إن الهدف من ذكرنا لهذه المقدمة هو لتأكيد أن القرآن يعتد بالمعيار الزمني وهذا ما يجعلنا نتوقف عند العمر الذي ذكره الله عن سيدنا نوح ، فحساب السنين والأعوام قد ذُكر في القرآن بأكثر من شكل ، كما ذكر الله أن حساب السنة من عنده سبحانه يختلف عن حساب السنين التي نعدها كقوله : ((وإن يوماً عندَ ربكَ كألفِ سنة مما تعدون)) وهذا مما يشير إلى إمكانية أن تكون حسبة الزمن مختلفة في عهد نوح عن عهدنا ، بل ونجد حتى أن حساب القرن لم يعتمد في كونه مئة عام إلا في القرون الوسط ، نلخص من ذلك كله إلى أن القرآن يأخذ بالمعيار الزمني للعصر الذي يخاطبنا عنه والراجح أن الله خاطبنا بعمر سيدنا نوح طبقاً للتقويم الحسابي الذي كان متفشياً في بلاد الرافدين آنذاك .

4-يجب أن لا نفهم من دعاء نوح وقوله ((وقال نوح ربّ لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا)) أنه يدعوا على الكافرين بالهلاك والموت، فكلمة (لا تذر) لا تعني بالضرورة أن لا يذرهم الله أحياء بل قد تعني ان يهديهم الله ويصلح حالهم فيذرهم مؤمنين ولا يذرهم على الكفر، نجد أن زكريا حين دعا ربه وقال ((رب لا تذرني فرداً وأنت خير الوارثين)) أن الله استجاب له ووهب له يحيى، وهنا دلالة علة أن معنى ((لا تذرني فرداً)) أي أصلح حالي وارزقني بذرية لا بمعنى أهلكني !

ثانياً: إبراهيم وتحطيم الأصنام

ونجد أن القرآن هو الكتاب السماوي الوحيد الذي يحمل نصوصاً تكرس مفهوم احترام الديانات كقول الله تعالى ((لكم دينكم ولي دين)) من المؤسف أن نجد من يسيء فهم هذه الدعوات الربانية إلى ضرورة احترام الآخرين ، فيظن أنه يتقرب إلى الله بإيذاء الآخرين وإهانة مقدساتهم ومن ثم يبرر ذلك ويستشهد بحادثة سيدنا إبراهيم الخليل معتقداً أن تشابه الفعل هو نفسه تشابه الحالة والظروف! وأما من يستشهد بقصة سيدنا إبراهيم فهو على خطأ ، لأن قصة سيدنا إبراهيم يتخللها حيثيات و ظروف لا تنطبق على أي حالة اعتداء وتطاول ، وسنفصل هذه الحيثيات حسب النقاط التالية :

1- حادثة تحطيم إبراهيم عليه السلام للأصنام كانت خلال رحلة بحثه و ثورته في صغره وقبل أن يبعثه الله، ومما يدل على ذلك ما قاله قومه حين وجدوا الأصنام محطمة ((قالوا من فعل هذا بآلهتنا إنه لمن الظالمين))((قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له إبراهيم)) فقولهم (سمعنا فتى يذكرهم) يدل بشكل صريح أن إبراهيم عليه السلام كان في مرحلة الفتوة، والظاهر من هذا كله أن ما فعله إبراهيم عليه السلام كان نزعةً فطرية ولم يكن بوحي وأمر رباني.

rawafed_k
rawafed_k
rawafed-k
روافد المعرفة

2- إن ما فعله إبراهيم عليه السلام كان مع قومه الذين ينتمي لهم، وهذا ما حفّز إبراهيم لمحاولة إصلاح قومه بدافع الانتماء إليهم، فلا يصح أن يستشهد أحدهم بهذه الحادثة كذريعة للاعتداء على غيره من الأقوام والشعوب وأصحاب الديانات

3- إن قوم إبراهيم كانوا في حالة تذبذب وشكوك من دينهم وبعضهم قد تأثر بفطرة إبراهيم فعرف عن وجود حقيقة أخرى تنافي عبادة الأصنام ، وحين قال لهم إبراهيم ((قال لقد كنتم أنتم وآباؤكم في ضلال مبين)) ، فهنا نجد أن رد قوم إبراهيم كان عجيبا : ((قالوا أجئتنا بالحق أم أنت من اللاعبين)) وما أقصده بالعجيب هو أن قومه كانوا يستبشرون ويترقبون أن يأتيهم أحد (بالحق) إيمانا منهم بوجود إله آخر أحق من هذه التماثيل ، بينما لو كانوا يدينون بها ويقدسونها لكان ردهم على إبراهيم (بل أنت الذي في ضلال مبين) وهذا مما يوحي بأن إبراهيم أراد بفعلته تلك أن ينقذ قومه من عبادة الباطل وأن ينقلهم إلى اليقين بدل الشك ، أما معاقبتهم له بالتحريق في النار فهي في سبيل ردع ما يرونه تمرداً على قوانين القوم والآلهة بغض النظر عن قربهم الديني لهذه الآلهة.

ثالثاً : لوط وبنات لوط

ما يذكره الكتاب المقدس حيث تحدث النص عن بنات لوط وقيامهن بالاضطجاع مع أبيهن وهو تأثير المسكر بعد أن أشربوه الخمر مما أدى إلى حملهن، ولا شك أن الإساءة إلى الأنبياء الطاهرين بمثل هذه النصوص تقف خلفها مزاعم يهودية تخص قضية (أرض الميعاد) التي يصبون إليها في محاولة منهم لإحكام قبضتهم التاريخية على خارطة العالم العربي وتأصيل وجودهم عليها وأحقيتهم بها غير أن حديثنا الحالي عن طهارة لوط وبناته.

أن من تأثر من الملاحدة بالنصوص المحرفة في حق النبي لوط أخذ يردد شبهة أن لوط قدم بناته لقومه من أجل ممارسة البغاء عوضاً عن ضيوفه حسب فهمهم للنص القرآني الذي يقول: ((قال هـؤلاء بناتي إن كنتم فاعلين))، ومن أجل أن نوضح هذا الأمر يجب أن نراعي الأمور التالية عند سماعنا لقصة لوط:

١ -((لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً)) ، وقد قال قتادة في أثر حسن رواه الطبري تفسيراً لهذه الآية : (شرعة ومنهاجاً أي سبيلاً وسنة ، والسنن مختلفة : للتوراة شريعة ، وللإنجيل شريعة ، وللقرآن شريعة.

إن النكاح في عهد إبراهيم الخليل وابن أخيه لوط عليهما السلام كان بأن يأخذ الرجل الفتاة فيعرف الناس أنها وهبت له وأنها صارت زوجة له.

٢ -إن خوف لوط من سوء السمعة والفضيحة والخزي والعار تكرر كثيراً على لسانه في القرآن.

((قال إن هؤلاء ضيفي فلا تفضحون)) ((واتقوا الله ولا تخزون ، حيث يستحيل أن يكون الشخص الذي يخاف على سمعته من الفضيحة والخزي حتى على (ضيوفه) أن يُقدم على فعل ما سيجلب له قدراً أكبر من الخزي والفضيحة بأن يكون ذلك على أهل بيته

٣ -أن قوم لوط احتشدوا على بابه بأعداد كبيرة بهدف الاعتداء جنسياً على ضيوف لوط ، وهذا يدفعنا للتساؤل : إن كان لوط قد قدّم ابنتيه بنية الزواج فكيف يتزوج جماعة كاملة ابنتين فقط ؟

فنقول أن المقصود هنا أن لوطاً عليه السلام أراد تزويج اثنين من كبار قومه ببنتيه فيتأسى بقية القوم بهذا الفعل ويتأثرون بالفطرة السليمة، هذا مع بقاء الخلاف حول أن لوط يعني بقوله: (هؤلاء بناتي)أي بنات قومه الذين بعث إليهم جميعاً وليس جرد بنات صلبه.

أرسل إلي أحد الأصدقاء قبل فترة دراسة نُشرت على موقع BBC تؤكد أن الشذوذ قد يكون لأسباب جينية وراثية لا دخل للإنسان فيها !، فأخذ يسألني عن موقف الدين تجاه هذه الحالات حتى نجيب على هذه التساؤلات لابد أن نأخذ في عين الاعتبار النقاط التالية:

١ -الأصح والأسلم أن نتجنب تسميته اللواط بهذا الاسم وأن نطلق عليه إما شذوذ جنسي أو مثلية جنسية

٢ -يجب أن نعلم بأن جميع الأحاديث (اهتزاز عرش الرحمن) ضعيفة ولا تصح ! فاستواء الله على عرشه لن يهز من أجل رجلين مارسا الجنس بعضهما مع بعض!

٣ -من المهم أن لا نعاند العلم فيما تم اثباته، تحدث الطبيب النفسي (سيغموند فرويد) في كتابه (ثلاث مباحث في نظرية الجنس) عن أن الشذوذ الجنسي ينقسم إلى ثلاثة أنواع :

النوع الأول: هو الشذوذ العارض وهو الذي يكتسبه الشخص نتيجة لظروف معينة كأن يوضع في السجن برفقة رجال آخرين لفترة طويلة .

rawafed_k
rawafed_k
rawafed-k
روافد المعرفة

النوع الثاني: وهو الشذوذ المزدوج ثنائي الجنس/ bisexual وهو النوع الذي يمنح صاحبه القدرة على ممارسة الجنس مع الذكر والأنثى على سواء.

النوع الثالث: وهو الشذوذ المطلق، حيث أنه حالة جينية وراثية يجد الإنسان نفسه عليها منذ أن يرى النور، وهذه الحالة تحتاج لعلاج واحتواء أكثر من غيرها، وللأسف الكثير من الذين يعانون من الشذوذ المطلق يتم إرهابهم وتهديدهم بالنار وبعذاب الله بدلاً من احتوائهم ومحاولة علاجهم، فينشأ في هذه الفئة الشعور بالظلم وربما يقودها هذا إلى الكفر أو الإلحاد

٤ -إن ما ثبت عن قوم لوط في نص القرآن أنهم كانوا (مزدوجي الجنس) وقول لوط (ما سبقكم بها من أحد) يدل قطعاً أن الشذوذ الذي مارسه قومه لم يكن وراثياً جينياً وإنما كان من أشكال الترف الجنسي ، إن ما ذكرناه كان بهدف تبيان أن قوم لوط كانوا يملكون خيار أنفسهم ولكنهم أرادو من شدة فسقهم أن ينحرفوا حتى بممارستهم الجنسية .

٥ -إن من الدلائل الأخرى على أن قوم لوط كانوا يملكون خيار أنفسهم هو ما فعله لوط في عرضه لبناته عليهم من أجل الزواج ، وكذلك لا يرسل الله نبياً من أجل الدعوة والإصلاح إلا ويكون القوم الذين بعث إليهم هذا النبي مخيّرين في أمرهم.

رابعاً: موسى والخضر وقتل الغلام:

إن قصة مقتل الغلام على يد الخضر عليه السلام كانت من أكثر القصص التي كثرت حولها التساؤلات من قبل المسلمين، واستغلال غير المسلمين لها في مهاجمة الإسلام كونها في ظاهرها تعارض الفطرة الإنسانية، فقد دفعني ذلك للبحث والتنقيب عن أسرار هذه الحادثة.

جميعنا يقرأ سورة الكهف في كل يوم جمعة، وذكر فيها أن موسى هو من طلب من الخضر أن يعلمه مما علمه الله: ((قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِي مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْداً)) [الكهف:66]، فكان جواب الخضر أنه إذا تبعه موسى فعليه أن يصبر ولا يسأل عن أي أمر قد يحدث حتى يخبره بالأسباب، بل وكان الخضر يوبخ موسى في كل مرة لا يصبر فيها قائلاً: ((أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ صَبْراً)) [الكهف:72]. يظن بعض الناس أن الحكمة هي بهدف التشويق وأنّ أحداث القصة انتهت عند معرفة موسى لتأويل تلك الأمور التي لم يصبر عليها! غير أن ذلك غير صحيح، وأننا لو تتبعنا الحكمة لأدركنا أن كل أوامر الخضر كان بوحي

رباني: ((وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِى)) [الكهف:82] وهذا يبين أن للأمر حكمة ربانية! ولكن قبل أن أبين الحكمة سأوضح بعض النقاط التي لها علاقة في القضية:

1. إننا لا نشك في أن مقصده من وراء خرق السفينة وإقامة الجدار هو مقصدهُ خير كما تبين في نهاية القصة، غير أن الإشكالية هي قصة الغلام كونه لم يُقتنع بعض الناس، فإن ذلك سيدفعنا للبحث عن أين يكمن الخير في قتل الغلام!
2. لا يقتصر معنى كلمة (غلام) على الطفل الصغير، بل إن للكلمة معاني أخرى، منها أن يكون المعنى هو الخادم أو الأجير كما قال تعالى: ((وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَّهُمْ)) [الطور:24]، ولا يشترط للغلام الأجير أن يكون في سن الطفولة بل ويشمل سن الغلمة والبلوغ. ومن معاني الغلام أيضاً هو الهيجان ويشمل ذلك الهيجان الجنسي كما ورد في الحديث الحسن: ((خير نسائكم العفيفة الغلمة، عفيفة في فرجها، غلمة على زوجها))، ومن مظاهر استخدام الغلمة في معنى الهيجان هو هيجان البحر. غير أن هذه المعاني كلها لا تهمنا حالياً، لأننا نزعم -بإذن الله- أن معنى الغلام المقصود هو ما ورد في حديث لعلي بن أبي طالب: (تجهزوا لقتال المارقين المغتلمين أي الذين تجاوزوا حد ما أمروا به من الدين وطاعة الإمام وبغوا عليه وطغوا).
3. مما يوحي بأن كلمة غلام في قصة الخضر لم تكن بمعنى صغير السن إنما معنى من تجاوز حدوده، حيث كان ردة فعل موسى: ((قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْساً زَكِيَّةً بِغَيْرَ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئاً نُّكْراً)) [الكهف:74]، فلو كان الغلام غير مكلف وغير قوي لما قال (بغير نفس) في إشارة إلى أن هذا الغلام مكلف ومهيأ لأن يرتكب جريمة قتل، وأنه لو ارتكب جريمة قتل لصح قتله، والحد لا يُطبق إلا على المكلفين.
4. إن الغلام لم يُقتل من أجل كفره، وقد وضح الخضر السبب الحقيقي قائلاً: ((وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَاناً وَكُفْراً)) [الكهف:80] إذ كما هو ملحوظ أن السبب هو الطغيان قبل الكفر، وغالباً يكون الطغيان في تجاوز الحد بالتعدي حتى على أرواح الآخرين وهو ما يستدعي ردع الطاغية وإيقافه عند حده.
5. إن ما يثبت أن الغلام كان طاغية عند قتله وليس كما نظن أنه قُتل لأنه سيكفر إذا كبر هو في قول الخضر: ((فَأَرَدْنَا أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْراً مِّنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْماً)) [الكهف:81]، فقوله (خيراً منه) و(وأقرب رحماً) يدلان على أن الوضع الآني هو (الشر) و(البعد عن الرحم).

نخلص من النقاط أعلاه إلى أن الغلام كان مكلفاً، وقد اقتص الله منه بذنب طغيانه وليس كفره وحده، لما يغلب على الطغيان في اللغة من التجاوز والاعتداء على أرواح الآخرين، وآخر ذلك هو أن الغلام في خضم طغيانه وليس لأنه سيفعل ذلك مستقبلاً!

****

بالعودة الآن إلى تقصي الحكمة من وراء طلب الخضر من موسى التزام الصبر والصمت، هو سببٌ يتعلق بشخصية موسى نفسها! فجميعنا نعرف بأن موسى عندما كان في البلاط الفرعوني قد قتل نفساً بالخطأ، وعلى الرغم من ندمه ومن أن الله قد غفر له ذنبه، فهو أمام العيون في سيرته ومحط قدوة للمؤمنين ومع ذلك فهو قاتل! وهذا قد يكون ذريعة للمتطرفين؛ لأن الإنسان بطبيعته يحب الإسقاطات، فالفرد يبحث عن قدوة تخدم رغبته في تبرير فعله، وفي الوقت نفسه تُخرس الخصوم! ولا توجد أمثلة قوية غير الأنبياء!

لذلك، كان من حكمة الله في إجراء هذا الاختبار على يد الخضر بأن يسجل لموسى موقفاً استنكارياً لتلك الأفعال فيمحو به كل ماضيه بهذه الدورة التطهيرية.

وحتى يؤكد الله لنا أن قدوتنا موسى قد تغير ذكر رد فعله عند رؤية الظلم أمامه وعدم تحمله للصمت كما فعل مع أصحاب السفينة وقتل الغلام. وهذا يبين أن موسى يجل ويقدر النفس البشرية واستنكاره لجريمة قتل النفس البريئة.

خامساً: موسى وسرجون الأكادي:

إن التشابه في بعض قصص الحضارات مع القصص التي جاءت في الكتب السماوية يفتح بوابة للملاحدة للقدح في مصداقية القرآن على أنه من مصدر وثني، رغم أنه لا يستطيع أحدهم أن يأتي بدليل قاطع كون هذه المرويات في النقوش وتراث الحضارات ليس لها ما يؤكد كونها حدثت قبل قصص الأنبياء، بل إن معظمها وُجدت بعد التواريخ التي كُتبت فيها الكتب المقدسة.

إننا نخص هذه الجزئية في الرد على أعظم قصة يتشدق بها أعداء الأديان. نحن نعي أن التشابه بين قصة الملك سرجون الأكادي وموسى عليه السلام، ولك أن تتخيل أن هذه الشبهة التي عظّمها البعض لا تشبه قصة موسى إلا في أمر واحد فقط، وهو عندما قذفت أم كل واحدٍ منهما ابنها في تابوت ومن ثم قذفه في البحر! وعلى الرغم من أن الكثير يستخدمونها في رواياتهم كما فعل الفيلسوف المسلم ابن طفيل في روايته الشهيرة بأن جعل الأم تضع طفلها في تابوت وتقذف به في البحر ليرسو الابن في جزيرة وتربيه الحيوانات بعد ذلك

حتى يكتشف الله بفطرته، وغيرها، إلا أننا سنرى بعد النقاط التالية كيف أن بعض الملاحدة واللادينين يقتاتون على التشنيع!

1.تروي النقوش السومرية قصة الملك سرجون الأكادي كالتالي: (أنا سارجون، ملك الأكاديين، ملك القوة .. أمي قدّيشة، لم أعرف أبي .. أعمامي أحبوا التلال .. مدينتي أزوبيرانو، الواقعة على ضفاف الفرات .. أمي القدّيشة حملت بي .. وولدتني في السر .. وضعتني في سلة وغطت عينيّ بالقار .. وألقتني في النهر .. التقطني "عكي" من النهر وهو يتناول إبريقه .. اتخذني "عكي" ابناً له ورباني .. عينني بستانياً لحديقته .. وأنا بستاني، أحبتني عشتار .. ومضت الأيام إلى أن صرت ملكاً).

إن الاطلاع على النص فقط كفيل بأن يُظهر حجم الفروقات، فـ(قدّيشة) هو لقب الكاهنات في المعابد الوثنية التي تهب نفسها للزنى من أجل الآلهة، عكس أم موسى الطاهرة، وكون سرجون ابن زنى ومجهول الأب فإن ذلك كان السبب في التخلص منه أما ما فعلته أم موسى فكان حماية لابنها من القتل، وغيرها من الاختلافات الواضحة. فهل اختلاف القصة في كل شيء وتشابهها في نقطة واحدة يجعلها منقولة؟

2.هنالك الكثير من علماء الآثار مثل بول لاميتا، فيكتور بلاس، وهنري فرنكفورت يرون أن المقصود في الملحمة المنقوشة هو سرجون الثاني وليس سرجون الأكادي الأول، ولهذا فإن سرجون الثاني لقّب نفسه (سرجون) على اسم المؤسس، وحالما اعتلى العرش حاول كثيراً ادعاء أن أصله ملوكي، وما يدعم أن المقصود هو سرجون الثاني هو أن الملحمة تذكر هزيمة (تيلمون) على يد سرجون، وتيلمون هذا لم يصلنا الكثير عنه سوى في فترة وجيزة تسبق سرجون الثاني وليس له أي علاقة بالحقبة الزمنية لسرجون الأول.

وعليه، فإن من المرجح أن الملحمة هي عن سرجون الثاني، فهو إذاً الذي نقل قصة موسى من اليهود وأصبحت معروفة في أوساطهم، وذلك على افتراض وجود نقل بين القصتين أصلاً.

سادساً: وهل كفر سليمان؟

يصف لنا القرآن أن الملك سليمان كان أوّاب لذا أكرمه الله فسخّر له الريح والجن وعلمه منطق الطير وآتاه من كل شيء، إلا أن وضعية الملك سليمان مختلفة جداً في التوراة، فنجده هناك وقد أُلصقت به أبشع الصفات، منها أنه قد سلب المُلك من أخيه أدّونيا، فانقسم الناس في ولائهم له، فشككوا به وبتحكمه بالجن وادعوا أنه (ساحر).

تذكر التوراة أيضاً أن سليمان كفر وآمن بالآلهة البابلية وقام بعبادتها، فغضب الرب منه ومزَق مملكته ولولا أن أباه داود لعاقبه عقاباً أعظم على كفره.

وبذلك انقسم اليهود لفريقين:

فريقٌ آمن بملك سليمان ونبوته ومعجزاته.

وفريقٌ كذَب ذلك واتبع أقوال شياطين الإنس وقدحهم بمُلك سليمان.

****

نزه القرآن سليمان من تهمة البطش من أجل المُلك: ((وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ)) [النمل:16] وكذلك نزهه من الكفر إذ قال الله: ((وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا)) [البقرة:102]، جاء أيضاً في نفس الآية أن سبب كفر هؤلاء الشياطين هو أنهم ((يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى المَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ)) [البقرة:102].

سنتحدث قبل كل شيء عن هاروت وماروت. كلنا نعلم أن الملائكة لا تعصي الله فكيف يكون ذلك؟ فنقول: الراجح لدينا أن (هاروت وماروت) ليسا ملكين من عند الله بل هما من الشياطين البابلية، فنجد مثال ذلك مما أورده الطبري نقلاً عن ابن عباس: إن المقصود ((بِبَابلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ)) هو التأخير الذي معناه التقديم، قيل: وجه تقديمه أن يقال: ((وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ)) من السحر وما أنزل الله السحر على الملكين، ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر ببابل، هاروت وماروت – فيكون معنياً بالملكين: جبريل وميكائيل، لأن سحرة اليهود، فيما ذكر كانت تزعم أن الله أنزل السحر على لسان جبريل وميكائيل إلى سليمان، فأكذبهما الله بذلك، وأخبر نبيه محمد صلى الله عليه وسلم أن جبريل وميكائيل لم ينزلا بسحر قط، وبرأ سليمان مما نحلوه من السحر، فأخبرهم أن السحر من عمل الشيطان، وأنها تعلم الناس ذلك ببابل، وأن الذين يعلمانهم ذلك رجلان: اسم أحدهما هاروت، والآخر ماروت.

إن من يلاحظ في أسماء ملائكة الله سيجدها أنها تنتهي بـ(إيل) والتي تعني (الله) مثل جبريل، إسرافيل، وغيرهم، اعلم أن هذا ليس شرطاً لأننا نجهل أسماء آلاف الملائكة ولكن الغالب، وكلمة (روت) تخص الديانة الوثنية في بابل القديمة وأحد كبار آلهتها الذي تُنسب له الآلهة هناك مثل تاروتوعشتاروت، ولا شك أن ثقافة الإسرائيليين قد اختلطت بالبابليين، لذلك تتهم التوراة سليمان بعبادة عشتاروت.

إذاً فإن لفظ الملكين الذي ورد قبل اسم هاروت وماروت لا يعني بالضرورة أن المقصود هو ملائكة من عند الله، بل إننا قد ذكرنا الكثير من الاختلافات. وعليه فإن الصحيح لدينا وبحسب ما يشير له اسمهم (روت) هو أنهما فعلاً من ملائكة السحر لدى الثقافة البابلية القديمة وأسطورة أنهم يعلمون من يؤمن بهم السحر.

لذلك نجد الكثير من المفسرين من قال بأن (ما) هنا تفيد النفي والجحد، وسبب هذا الافتراء هو القدح بسليمان على أنه ليس إلا ساحر وسبب معرفته للسحر هو عبادته لإلهة بابل (عشتاروت) كما ورد في التوراة المحرفة.

وبذلك ظهرت فرقة تزعم إمكانيتها مجاراة سليمان في (سحره) عن طريق ما توهموه من عبادة الآلهة وملائكة بابل وأنهم يبيعون ذلك لمن يريد! لذا نجد أن الله قد ذكر كلمة (اشتراه) في قوله عن السحر: ((وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ)) [البقرة:102] لتأكيد ما قيل في التوراة من أن شياطين الإنس هم الذين كفّروا سليمان واستغلوا أكاذيبهم لأهداف مادية. هذا كله من تبعات عدم تصديقهم بإمكانية رجل التحكم بالجن ويعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل، على الرغم من معرفة من ذهب للدجالين أن سليمان قال عن ملكه بما يتخلله من تحكمٍ مع الجن ((لَّا يَنبَغِى لِأَحَدٍ مِّن بَعْدِى)) [ص:35].

سابعاً: محمد وتهمة نقل قصص القرآن من الكتب السابقة:

إن من يتتبع أقوال المستشرقين وأعداء الإسلام من الديانات الأخرى، سيجدها دائماً متمحورة حول عدد قليل من التهم التي يرددونها رغم أنها أُشبعت ردّاً وضرباً.

نذكر منها زعمهم أن النبي محمداً عليه الصلاة والسلام كان ينقل قصص القرآن المتشابهة مع التوراة والإنجيل من اليهود والنصارى مثل الراهب (بحيرا) ومن ورقة بن نوفل وبعض الفلاسفة وشعراء الجاهلية مثل امرئ القيس.

ننقل هنا ما قاله المستشرق (كارادي فو) والذي أشعل نار هذه الشبهة: "وقد اصطنع النبي القصة التي تقول بأن الرسول السماوي يتحدث إلى الأنبياء، وأعتقد أنه تلقى رسالته ووحيه منه، والظاهر أن النبي محمداً عرف جبريل من خبر البشارة الوارد في الإنجيل ولكنه لم يكن في مقدوره أن يعرف الإنجيل من غير وساطة، ولعله سمع ذلك الخبر من أفواه بعض الفلاسفة أو الباحثين في الأديان أو من أحد الحنفية، وقد وصلهم الخبر مشوهاً".

بصرف النظر عن وجود كلمات ظنية كقوله: (أعتقد،الظاهر،لعل) في مسألة تتطلب دليلاً قاطعاً! إلا أن ردنا لا يرتكز على هذه النقطة فقط، وإنما يتبادر إلى ذهننا عدة أسئلة: كيف وأين التقى محمد بهؤلاء الفلاسفة أو الباحثين في الأديان؟ ومن هم الذين التقى بهم؟ وإذا حاولنا حصرهم في فترة حياة النبي، فهل وُجد أحدهم في شبه الجزيرة العربية في تلك الفترة؟

وإذا قلنا أنه التقى بهم أثناء رحلته التجارية كقولهم إنه التقى الراهب (بحيرا) في رحلته للشام مع عمه أبي طالب، وإنه علمه مما في كتبهم، فهل تكفي عشرة أيام فقط للتعلم والمعرفة والإلمام بكل ما حواه القرآن؟

ثم ألم يأتِ القرآن بأحداث وتفصيلات يومية من السيرة النبوية، كقوله تعالى: ((تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ)) [المسد:1] و((عَبَسَ وَتَوَلَّى)) [عبس:1] وغيرها الكثير؟ فهل كان الفلاسفة وغيرهم يعيشون مع النبي وقت وقوع هذه الأحداث ليعلموه كيف يقول القرآن فيها؟ ثم لماذا جاء في القرآن الكثير من القصص التي لم ترد في الكتب السماوية السابقة كقصة صالح وهود وأصحاب الكهف وقصة رفض إبليس السجود لآدم، ولماذا يتم اعتبار أن محمد وصله الخبر مشوهاً حول المسيح بأنه عبد الله وليس أن الوحي وصله مصححاً لم تم تحريفه في العقيدة النصرانية؟

فإن قلنا إن محمداً تعلم ذلك من الحنفاء مثل: عبد الله بن جحش وعثمان بن الحويرث وأمية بن أبي الصلت، فإن من يتتبع سيَرهم سيجد أن أغلبهم لم يدركوا النبي وماتوا قبل ظهور الإسلام.

أما ورقة بن نوفل فتقول الروايات أنه من علماء النصرانية العبرانية، وعندما جاء الوحي إلى النبي ذهبت به خديجة إلى ابن عمها ورقة بن نوفل، ولما استمع ورقة إلى ما حكاه النبي له قال: "هذا الناموس الذي نزل على موسى، يا ليتني فيها جذعاً (شاباً) ليتني أكون حياً إذ يخرجك قومك" فسأله النبي: ((أو مُخرجي هم؟)) فأجاب: "نعم، لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي، وإن يدركني يومك لأنصرنك نصراً مؤزراً" وقد توفي ورقة عند ظهور الإسلام، ولا يوجد ما يثبت أنه عاش مع النبي طيلة حياته وكان يخبره بما يجب أن يقوله النبي في القرآن.

وعلى من يظن أن النبي قد أخذ القرآن كاملاً طبقاً بالأحداث اللحظية في حياة النبي منذ بعثته وحتى موته من ورقة بن نوفل، أن يثبت أن ورقة كان يعلم الغيب وكان يخبره عن الآيات التي ستحدث مستقبلاً خلال الأربع سنوات التي أدرك فيها ظهور الإسلام -على افتراض إثبات وجود لقاء آخر للنبي مع ورقة!- عدا ذلك فالمسألة ليست إلا أوهاماً.

نعرّج الآن على تهمة أخرى أشعلها القس (أنيس شروش) في إحدى مناظراته مع الشيخ (أحمد ديدات) حول أن النبي قد اقتبس من الأشعار الجاهلية، تحديداً شعر امرئ القيس، فيقول شروش: "كان امرؤ القيس من أعظم شعراء العرب القدامى قبل محمد، وفي إحدى قصائده، هناك أربع آيات مأخوذة منها، تم إدخالها في القرآن من قبل محمد، وتظهر في سورة القمر، نجد أن القرآن قد قال ((اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ)) [القمر:1] ونجد أن امرأ القيس قد قال في إحدى قصائده: (دنت الساعة وانشق القمر) ثم نجد أن القرآن يقول: ((بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ)) [القمر:46] ويقول امرؤ القيس:

وإذا ما غاب عني ساعة كانت الساعة أدهى وأمر

ولذلك نجد أن ابنة امرئ القيس عندما أدركت الإسلام وسمعت أبيات أبيها عرفتها".

سنقف مع التهمة في عدة نقاط:

1. إننا من هذا المنطلق نقول إن هذه الأبيات لم ترد إطلاقاً في دواوين امرئ القيس الأصلية والثابتة عنه، بل لم نجدها في كتب من انشغل في جمع وشرح الشعر الجاهلي، فهل يصح أن تُنسب هذه القصائد لشاعر فلا نجدها في دواوينه؟ ولم ترد على لسان حفّاظ شعر امرئ القيس فلم يذكروه؟
2. إن المصدر الوحيد الذي وردت فيه هذه الأبيات هو كتاب (فيض القدير، شرح الجامع الصغير) للإمام المناوي، وذكر المناوي أن هذه الأبيات (تُنسب) للشاعر الجاهلي امرئ القيس، وهنا نسأل: أي امرئ القيس هنا؟ فهنالك أربعة شعراء في الجاهلية يحملون هذا الاسم؟ وليس الهدف هنا لتشتيت التهمة بل الحقيقة هي أن الأبيات لا تتفق مع أسلوب أي من الشعراء إطلاقاً! بل قيل إن آيات سورة القمر لا تتفق أصلاً مع موازين الشعر العربي حتى يقال إنها من الشعر.
3. يزعم (شروش) أن ابنة امرئ القيس عنما أسلمت عرفت أبيات أبيها، ورغم عدم وجود روايات ثابتة عنها، إلا أننا سنعذره ونقول لعله يقصد حفيدات امرئ القيس، وعليه أن يخبرنا الآن أي حفيدة يعنيها؟ فمن حقنا أن نعرف.
4. لو كانت الأبيات صحيحة لعرف العرب ذلك ولجعلوها حجة على النبي إذ لا يخفى عليهم أشعار الجاهلية، ويناقض (شروش) بذلك نفسه حين أثبت أن امرأ القيس أعظم شعراء الجاهلية ثم لم يذكر أن كبار كفار قريش لم يرد عنهم اتهام النبي بسرقة الآيات!

إننا نستطيع أن نقول إن كل ذلك ليس إلا افتراءات ظنية ليس لها دليلٍ قطعي.

ثامناً: محمد وتهمة نشر الإسلام بالسيف:

لن تُبعد هذه التهمة في أعين مروجيها بالردود التقليدية، نظراً لأنهم يعرفون أن النبي عليه السلام، هو الوحيد من الأنبياء تقريباً الذي قاد جيوشاً في غزوات ومعارك.

أدرك محمد بعد التجارب المرّة التي مرت عليه في مكة، أن قريشاً لا تخضع لدعوته إلا إذا أخضعها بحد السيف، وأدرك كذلك أن العرب لا يدخلون الإسلام إلا إذا انتصر على قريش، وكان العرب يقولون: "دعوا محمداً يقاتل قومه، فإن نجح فهو نبي حقاً". فالعرب الذي ظهر فيهم كانوا أولي قيم بدوية صارمة، وهي لا تميل إلى الإيمان بنبي مستضعف، ولا يزال البدو حتى يومنا هذا يعتبرون القوة دليل الحق، ومن أمثالهم الدارجة (الحق بالسيف والعاجز يريد شهوداً). ولذا فإن البدو دخلوا دين الله أفواجاً بعد فتح مكة، وقد سمي العام الذي تلا عام الفتح بعام الوفود.

وقد أشار البروفسور نكلسون إلى أن معركة بدر هي أول حادثة لفتت نظر القبائل البدوية إلى محمد وأثارت إعجابهم به، ويقول في شأن هذه المعركة: "ومهما كان العرب قليلي الاكتراث بدين محمد، فإنهم لم يستطيعوا إلا أن يحترموا الرجل الذي أذل نبلاء مكة وبدأ بأهله"، ويعد نكلسون معركة بدر من أعظم المعارك العالمية التي فيرت وجه التاريخ.

يقول ابن إسحاق، وهو أول من كتب السير النبوية: كان رسول الله قبل بيعة العقبة لم يؤذن بالحرب ولم تُحلل له الدماء، إنما يؤمر بالدعاء إلى الله والصبر على الأذى والصفح عن الجاهل، وكانت قريش قد اضطهدت من اتبعه فهم بين مفتون في دينه، وبين معذب في أيديهم، وبين هارب من البلاد فراراً، فلما عتت قريش على الله، أذن الله عز وجل لرسوله في القتال والانتصار ممن ظلموه وبغوا عليه، فكانت أول آية تأذن له بذلك في قوله تعالى: ((أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ(39)الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللهِ كَثِيراً وَلَيَنصُرَنَّ اللهُ مَن يَنصَرَهُ إِنَّ اللهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ(40)الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ المُنكَرِ وَللهِ عَقِبَةِ الأُمُورِ(41))) [الحج].

إن هذه الآية عند قراءتها سيلاحظ فيها القارئ ثلاثة أمور:

1. أذن الله للمسلمين بالقتال لأنهم كانوا مظلومين ومضطهدين من جرّاء فكرة آمنوا بها.
2. إن التنازع الاجتماعي، أو التدافع بين الناس أمر طبيعي.

3. إن المسلمين إذا انتصروا على خصومهم فسوف يقومون بالأعمال الحسنة، والله لا ينصر إلا من ينتصر له.

والواقع أننا لا نفهم شرعة الحرب في الإسلام إلا إذا فهمنا الآية وأدركنا ما فيها من مبادئ اجتماعية هامة.

أوحى الله إلى العديد من النساء مثل أم موسى في قوله تعالى: (إذ أوحينا إلى أمك ما يوحى) المثال الآخر نجده في سورة مريم حينما أرسل الله جبريل لمريم كما رسله لسائر أنبيائه : (فأرسلنا إليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا) نستطيع أن نقول أن الله أوحى للنساء وأرسل لهن جبريل مثلما الرجال لان الوحى هو العلامةالفارقة بين النبي وغيره نعم هناك عدل ومساواه في الوحي ولكن السؤال الان لماذا لم يرسل الله نبيه ؟ لأن طبيعةالمرأة تختلف وأن الوحي مخيف جدا حينما نزل على محمد صلى الله عليه وسلم هلع مع بدء نزول الوحي قائلا دثروني زملوني.

الله اوحى للجنسين واعطاهم ما يتناسب معه من أوامر ربانيه وفضل كل جنس على الآخر بمزايا تليق به وهذه هي العدالة. إن ذكر الاسماء في القران ليس له أي مدلول للتكريم او التسفيه لأنه ورد بكل الحالات الممكنة وتساوى بذلك الذكر والانثى.

بعض الدراسات قالت إن حواء خلقت مع آدم من تراب وآخر يقول إن حواء هي التي خلقت قبل آدم وأن آدم هو الذي خلق منها قمنا سابقا بالبحث بالكتب السماويةكالتوراة والانجيل فلم نجد هناك الا تصديقا بما جاء به القران ان الله خلقنا من نفس واحده وخلق منها زوجها حواء.

إن من حكمة الله أن جعل في اضلاعنا اعوجاجا لأن هذه الكيفية هي التي يتمكن الضلع من خلالها ان يحتوي القلب وسائر الاحشاء ولو كان الضلع مستقيما لاعتبر ذلك إعاقة طبية

إن النصارى (الذين قالوا إنا نصارى) هم المؤمنون الاوائل الذين كانوا أصحاب موقف صحيح من دعوة المسيح ولم يقوموا برفعه الى درجه الألوهية او الربوبية ولم يجعلوه ابنا لله وذلك لان عقيدة الثالوث عقيدة دخيلة على الاعتقاد النصراني القديم والسليم لذلك استحق النصارى هذا الثناء الرباني

قامت المدرسةالأرثوذكسية لتؤكد القول بالطبيعةالواحدة للسيد المسيح فيقول اصحاب هذه الفرقةأن المسيح اقنوم واحد الا انه من جوهرين جوهر الإله القديم وجوهر الانسان المحدث تركيبيا أي أن المسيح بالنسبة لهم إنسان كله وإله كله.

نجد في تاريخ المسيحية أن أحد علماء اليهود واسمه شاول كان من ألد خصوم السيد المسيح عندما كان يهوديا ولكنه اعتنق المسيحية بعد ادعائه لحصول قصة تنصره التي ذكر فيها أن المسيح قد ظهر له بعد فتره من صلبه وأنه نهاه ومنعه من السفر إلى دمشق من أجل قتل واضطهاد اتباعه ومن هنا صار شاول أكبرالدعاة الى المسيحية.

نشر بولس فكره التثليث في رحلاته التبشيرية وبذلك كان شاول هي اليد العليا في نشر وتكريس فكره التثليث واستمرت بالتداول لقرون.عندما بدأ التبشير بالثالوث كعقيده أساسية بدأت محاربة من رفضوا الإيمان بذلك من النصارى الأصليين وتصنيفهم تحت الابيونيين

أصبح الابيونيون جماعة كبيرة وانتشروا حتى وصلوا الى روما،إن من يلاحظ الهجوم الذي تعرض له هؤلاء النصارى الذين رفضوا ان يجعلوا الله ثالث ثلاثة كان يتم اتهامه بالهرطقةوالزندقة،ولكن لم ينجحوا فقد طغت عقيده الثالوث مما أدى لعدد من الثورات مرة بعد مرة

لقد أحدث اعتراض اريوس على ألوهية المسيح ربكه في المجتمع على الصعيد الديني والسياسي مما أدى لظهور مؤيدين ومعارضين وهذا ما كانت تخشاه الإمبراطوريةالبيزنطية كونه يسارع في شرذمة الكيان الواحد. وقد تعرضت هذه الفرقة للاضطهاد والتشريد لمجرد كفرهم بالثالوث المقدس وذلك جعلها فرقه ضاله في نظر المسيحين الثالوثيين واضطهادها حظي باهتمام المسلمين ابتداء بالنبي.

ظهرت طائفة موجودة الى الان وهم النساطرة الذين عانوا من الطرد و الاقصاء و التكفير وتم اعتماد عدم دفن أي نسطوري في مقابر المسيحيين مما دفعهم الى الهجرة للشرق الاوسط حيث انتشروا هناك وأقاموا طقوسهم في أشهر كنيسة لهم بالعراق

الرب و الابن أم النبي؟ :

رابعاً: شهود يهوه / Jehovah's Witnesses

طائفة مسيحية ظهرت في نهايات القرن التاسع عشر.

لم تكن معروفة رسمياً تحت مسمى ((شهود يهوه)) إلا في عام 1931م، وتعتبر طائفة جديدة.

تعرضت للإنكار والهجوم من قِبل الكنائس, بسبب إنكارهم للثالوث المقدس، واعتراضهم على أن الصليب رمزٌ للديانة.

هذه الطائفة تحارب التحريف ولبس الصليب والصلاة حول المجسمات.

لا تؤمن هذه الطائفة بعقيدة الثالوث أن الله يتجسد في ثلاثة أقانيم أو أشخاص ((الأب والابن والروح القدس)) وهذه الأقانيم الثلاثة متساوية، سرمدية، وقادرة على كل شيء. يقرّ العديد ممن يؤمنون بعقيدة الثالوث أنهم عاجزون عن تفسر هذه العقيدة، ويعتقدون اعتقاد قوي بأنها تستند على الكتاب المقدس.

كلمة ((ثالوث)) لم ترد البتة في الكتاب المقدس، والآيات التي يزعمون أنها تحتوي مضمون الثالوث لو تأملها الإنسان لوجد عكس ذلك، ومن ذلك ما يلي:

جاء في إنجيل يوحنا الأصحاح الأول: ((في البدء كان الكلمة، والكلمة كان عند الله، وكان الكلمة الله.)).

المسيحيين الحقيقيين لا يستخدمون الصليب في عباداتهم، والسبب خلف ذلك هو أن يسوع لم يمت على الصليب! فالكلمة اليونانية التي وردت في الإنجيل الأصلي (ستافروس) والتي تترجم عادة إلى (صليب) تعني من حيث الأساس (عموداً أو وتداً) !

ما من دليل على أن الذين ادّعوا المسيحية استخدموا الصليب في العبادة في السنوات الثلاثمئة التي تلت موت المسيح، ولكن في القرن الرابع، اعتنق الإمبراطور الوثني (قسطنطين) المسيحية الزائفة التي تفشت بها الطقوس الوثنية، وكان قد روّج للصليب رمزاً لها آنذاك وبغض النظر عن الدوافع التي حدت بقسطنطين إلى القيام بذلك. إلا أن لا علاقة للصليب بالمسيح, وإنما يرجع أصله إلى الوثنية.

طائفة (شهود يهوه) بينها وبين الطوائف المسيحية الأخرى خلاف حول فكرة التبرع بالدم, فهم يرون أن الدماء مقدسة ويجب احترام هذه القدسية.

أرض الميعاد :

العقيدة اليهودية التي تنص على أن الرب خلق له شعباً خاصاً به وسيورثهم الأرض الموعودة وسينافح عنهم حتى يرثوها وسيقاتل معهم، نتجت عنها عقيدة عجيبة عند اليهود, فهم يرون – طبقاً للتلمود- أن الرب قام بتقسيم البشر إلى قسمين:

القسم الأول: وهم اليهود شعبه المختار.

القسم الآخر: فهم (الغوييم) أي الأميون الجاهلون وهم سائر البشر من غير اليهود.

التصور اليهودي عن الغوييم أنهم عبارة عن حيوانات خلقهم الله بصورة آدمية ليكونوا خدماً لليهود!.

كل أذية يفعلها بهم اليهود تشكّل تقرباً إلى الله, بل جاء في التلمود أن قتل المصلحة من الغوييم هو ضمانة لاستمرار وجود اليهود.

ابتدأت قضية أرض الميعاد فلسطين (والتي ما زالت محاولات اليهود مستمرة لتبرير ملكيتهم لها وفقاً لكتابهم المقدس (التوراة) عن طريق تحريف النصوص وتأويلها بشكلٍ عجيب) من النص التوراتي الذي وعد الله فيه إبراهيم أن يمتلك هذه الأرض له ولذريته.

نحن كمسلمين لا ننكر أن الله قد عاهد إبراهيم أن يجعله إماماً ولكن لم يكن لعهده هذا أي علاقة بامتلاك أرض! فغايات الأنبياء ورسالاتهم هي لأهداف دينية وليست دنيوية.

المفارقة العجيبة هنا أن عهد الله شمل إبراهيم وابنه البكر إسماعيل كما يتضح من الآية, ولا يشك أي يهودي أن إسماعيل هو ابن إبراهيم البكر والذي سبق إسحاق بحوالي أربعة عشر عاماً! ولكننا سنتوقف الآن ونلقي نظرة على التوراة لنلاحظ أمراً عجيباً! وهذا الأمر العجيب هو أن الله الرب يعطي عهده لإبراهيم و (إسحاق) رغم أن إسحاق لم يكن قد ولد بعد! ليخرج بذلك إسماعيل البكر من هذا العهد.

ويأتي بعد ذلك النص التوراتي الذي يخاطب الرب فيه اسحاق ويذكره بالعهد الذي قطعه مع والده إبراهيم بإن يعطيه الأرض. ومن ثم ينتقل عهد الله بتسليم الأرض إلى يعقوب من بعد إسحاق.

التوراة تظهر يعقوب بأنه حصل على النبوة وبركة البكورية بعدما خدع والده الأعمى إسحاق عندما تنكر على شكل أخيه الأكبر عيسو ووضع فروا على رأسه واستغل خروج أخيه للصيد, فاندس تحت والده وقال له: (أنا عيسو فباركني لأكون نبياً).

التوراة لا تصور يعقوب بالمخادع فقط, بل تصوره بالرجل الشجاع الذي صارع الرب, تحديداً في القصة التي وردت في سفر التكوين عن سبب تسمية يعقوب بإسرائيل.

يعني اسم إسرائيل عند اليهود التلموديين (صارع الإله) ليوحي ذلك بأن يعقوب حصل على النبوة بالخداع وحصل على بركة الرب بالقوة لا بالمنح.

هذا لا علاقة له بمعنى إسرائيل الذي يؤمن به المسلمون, فهو بالنسبة لهم مجرد لقب بمعنى (عبدالله), فكلمة (إسر) جاءت من الأصل الآرامي بمعنى (عبد), ومنها ما جاء في اللغة العربية (أسرى,أسير)، أما (إيل) فهو اسم من أسماء الله بالعبرانية, نجده أيضاً في أسماء الملائكة مثل (جبرائيل, ميكائيل) وبالتالي فإن معنى إسرائيل عبدالله وليس صارع الله, تعالى الله عن ذلك!

الغاية من كل هذه الغربلة التي قام بها كتبة التوراة هي لينتهي الأمر إلى شعب الله المختار!

من دخل أرض الميعاد قبل الآخر؟ إبراهيم أم الفلسطينيون:

تذكر التوراة وشُرّاحها أن إبراهيم الخليل وابن أخيه النبي لوطاً وقومهما هاجروا من (حاران) ودخلوا أرض كنعان(فلسطين) عام 1800 قبل الميلاد.

كما مقدمة التوراة تحت عنوان (مدخل إلى العهد القديم) ما يلي:

" ازداد اتحاد القبائل متانة يوماً بعد يوم في القرنين الثاني عشر والحادي عشر قبل الميلاد, كان من أبرزهم الفلسطينيون الذين نزلوا إلى الشاطئ الفلسطيني في مطلع القرن الثاني عشر قبل الميلاد, والذين كانوا أخطر منافس لبني إسرائيل للاستيلاء على فلسطين".

نستنتج مما سبق أن:

دخول إبراهيم فلسطين عام 1800 ق.م.

دخول الفلسطينيين لفلسطين عام 1200 ق.م, إذاً إبراهيم سبق الفلسطينيين ب600 سنة, اتفقنا؟

الآن ننتقل إلى نص توراتي آخر يناقض ذلك كله, فقد جاء في سفر التكوين أن إبراهيم نزل ضيفاً عند (أبي مالك) ملك (فلسطين)!

وحدث في ذلك الزمان أن أبي مالك وفيكول رئيس جيشه كلّما إبراهيم قائلين: " الله معك في كل ما أنت صانع".

فإذا افترضنا أن ابراهيم سبق الفلسطينيين ب 600 عام فكيف أدرك الملك أبي مالك؟ هل عاش إبراهيم 600 عام إلى أن دخلها الفلسطينيون؟! وحتى هذا لا يصح لأن إبراهيم سيكون قد مات إذاً, فقد جاء في التوراة أن إبراهيم مات وعمره (175 سنة) وذكرنا سابقاً أنه دخل فلسطين وعمره 75 سنة يعني لم يعش غير 100 سنة هناك؟!

وهنا نسأل من أين جاءت ال500 سنة؟

والجواب: هو نتيجة تحريف كُتّاب التوراة, لأمرين إثنين:

الأول: أن اليهود وجدوا في فلسطين قبل الفلسطينيين ب600 عام وأن الفلسطينيين هم المحتلون.

الثاني: الرغبة في تضييع حقبة مهمة في حياة إبراهيم ورحلته إلى مكة وقصة تضحيته بابنه إسماعيل.

اليهود يصرون أن الذبيح هو (جدهم) إسحاق.

عالم الجن والسحر:

عالم الجن الغيبي ساهم في إثارة الجدل وكثرت حول هذا العالم الكثيرمن التساؤلات، ومن درسوا علم النفس وكمياء وكهرباء الدماغ وجدوا صعوبةفي التوفيق بين الرأي الشرعي السائدعن إمكانية رؤية الجن أو إمكانية تلبس الجني الإنسي، وأن ينطق على لسانه، وبين ما يرونه من حالات يتمعلاجها نفسيًا دون اللجوء إلى طرق علاجية أخرى وقد وردت خلافات فقهية في المسألة.

كما أنه من حق كل مؤمن أن يختار ما يتوافق مع قناعاته فلا يظن أن إيمانه بعلم النفس يناقض الدين.

وقد حسم القرآن الكريم أصل الإيمان بوجود الجن في سورة كاملة. وللجن مناسك خاصة وأعمال لا يمكننا تصورهاولا يمكننا تصور طريقة تعبدهم ولا خلاف على وجودهم بل من أنكر وجودهم فهذا كفر صريح بنص القرآن. كما أننا نجد أن العلماء اختلفوا فيصحة رؤية الجن وتلبسهم فيقول ابن تيمية وتلميذه ابن القيم بإمكانية رؤيةالجان وإمكانية دخولهم إلى جسم الإنسان وأن السحر حقيقة لا خلاف فيها بل يرون أنه قد يحدث الزواج بينهم.

rawafed_k
rawafed_k
rawafed-k
روافد المعرفة

الجن والتلبس والتعاويذ :

كانت نوبات التشنج التي تصيب الإنسان منذ القدم ترتبط عنده الأمراض والصرع بالأشباح والشياطين، وهذاالتفسير طبيعي آنذاك لجهلهم بكيمياءوكهرباء الدماغ والأعصاب وعلم النفس ومن الحضارات القديمة الإغريق فقد كانوا يطلقون على التشنجات والصرع اسم (المرض المقدس)) ويذهبون بالمريض لقراءةالتعاويذ والتضرع للآلهة. كما عززت اليهودية فكرة دخول الجني في الإنسان ولكن على مرحلتين : الأولى ؛وجوب قتل من تتلبسه الجنرجمًا. والثانية: علاج المريض عن طريق التوراة على مسامعه. وهذاالاختلاف جاء بعد السبي البابلي. ونجد لليوم قساوسة المسيحيين يعالجونمن الصرع بقراءة الإنجيل والتعاويذوتشفى بذلك بعض الحالات.

وإذا رجعنا إلى الموقف الإسلامي نجد أن القضية خلافية كما ذكرنا منقبل، فابن تيمية ينقل عن الإمام أحمد إيمانه بالتلبس، وبالتأكيد أن طلابه يفعلون الأمر نفسه كابن القيم كونهم من مدرسة فقهية واحدة. أما المعارضون كابن حزم الذي سخر ووصف بأن نطق الجان على لسان المصروع لا يصدقه إلا ضعفاء العجائز.

وقد ذكر الكاتب فهد عامر الأحمدي في مقالة له أن سليمان هو من اختص بالتعامل مع الجن والآية التي قال الله تعالى فيها : " الذين يأكلون الربالا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس "خاصة بالربا ويأتي التشبيه آكله كمن يتخبطه الشيطان (على سبيل التمثيل لا الواقع) فالقرآن الكريم يستعمل تشبيهات مجازية واستعارات بلاغية كثيرة كهذه مثل "واخفض لهما جناح الذل من الرحمة" فشبه التذلل للوالدين بجناح الطائر.

وأما الأحاديث النبوية فيجب التنبيه إلى أن معظم أحاديث المس إما ضعيفةأو موضوعة خصوصًا أن ادعاءات المس كانت شائعة لدى العرب ويمكن مراجعتها في (ضعيف الألباني). وقد يخلط الناس بين الصرع وإمكانيةدخول الجان في الإنسان، فالصرع خلل كهربائي مؤقت يصيب الجهاز العصبي و إحدى مناطق الدماغ. وبالرغم من اعتقاد الأطباء أنه مجرد مرض عصبي يمكن علاجه إلا أن معظم الثقافات ماتزال تتجاهل هذه الحقيقة وتمارس طقوسًا خاصة بها. وهناك أمراض نفسية يبدو صاحبها وكأن جانًا يتلبسه منها ما يدعى تعدد الشخصيات وفيها تتصارع عدة شخصيات داخل الجسد. وحين يقتنع المصاب بقدرة أحد المدعين على الشفاء يمكن للأعراض النفسية أن تختفي. وبالعودة إلى النصوص الدينية أردت أن أعرج على حديث (إن الشيطان يجري من الإنسان مجرى الدم) وجدت ممن يستشهدون به كدليل على تلبس الجان فهم يبترونه

من سياقه بينما الحديث ورد في صحيح البخاري في باب (زيارة المرأةلزوجها في اعتكافه) بمعنى آخر. وهذاتشبيه مجازي للنفس الأمارةبالسوء. وإن سبب ذكري لهذا السرد هو وقوفي بنفسي على أطباء في علم النفس وغيره لا يؤمنون بالتلبس كون لديهم تفسيرات علمية وخشيت أن يظنوا أن موقف الدين التأييد دون خلاف فينشأ لديهم شعور بأن العلم يعارض الدين، فليعلموا أن المسألةخلافية وحقك أن تؤمن برأيك.

(سليمان والجن)

العالم الغيبي المجهول يثير لدينا الفضول لذا تسيطر فكرة التعامل مع الجن على عقول البعض فيكثر الذهاب للدجالين والمشعوذين. ولدينا شخصية في القرآن تعاملت مع الجن وهو النبي سليمان وأنا شخصيًا مقتنع تمامًا بأنه آخر من تعامل مع الجن من البشر وذلك وفقًا لدعائه " وهب لي ملكًا لا ينبغي لأحد من بعدي " فاستجاب الله لهوسخر له الريح وجعل الجن في خدمته، وملك سليمان خاص به لا يمكن تجزئته الان نستعرض بعض هذه الثغرات:

الثغرة الأولى : هي حين تفقد سليمان الطير و لم يجد الهدهد و توعد بتعذيبه و قتله ، و عندما عاد الهدهد رد على النبي سليمان عندما قال : (أحطت بما لم به وجئتك من سبإ بنبأ يقين). النمل 22 . وكأن الهدهد يقول " أنت يا سليمان بعظم ملكك لم تحط بكل شيء ولا تدري ما يجري بجوارك). بل إن سليمان لم يصدق إذ قال: (سننظر أصدقت أم كنت من الكاذبين). النمل27، وفي ذلك إشارة واضحة تدحض كل من يوهم الناس أنه يتعاون مع الجن و أنهم يحيطونه بكل شيء و بمشورات مستقبلية.

الثغرة الثانية : وهي عندما تحقق سليمان من وجود بلقيس فأرد أن يحضر عرشها لتؤمن به و حينها جاء عرضان : أحدهم عفريت من الجن : (قال عفريت من الجن أنا ءاتيك به قبل أن تقوم من مقامك و إني عليه لقوي أمين) النمل39 . أما العرض الآخر فكان لعالم من الإنس: (قال الذي عنده علم من الكتاب أنا ءاتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك) النمل 40.

ونلاحظ انتصار العلم على الجن و الشعوذة . و قد أختلف العلماء في هوية الرجل الذي نقل العرش، فمنهم من قال أسمه (آصف بن برخيا) ومنهم من قال أن هذا ضعيف فوجود شخص أعلم من سليمان نقص في علم سليمان و أن من قام بنقل العرش هو سليمان نفسه إنما سأل الناس في مقام التحدي.

و سواء اختلف العلماء على هوية ناقل العرش أم اتفقوا ، إلا أن جمهورهم اتفق أنه من الإنس و أنه فعل ذلك انتصارا (للعلم) على (الشعوذة) ، وهذا فيه إجلال العلم.

فنجد أن نقل العرش بطريقة علمية جعلنا كمسلمين متقبلين لما يقوم به الفزيائيون من محاولات قديمة لنقل الجسم كمادة أم كمعلومة من مكان آخر ، فهناك فرضيات علمية مثل QUANTUM) : TELEPORTAION)و (TELEPATHY) و غير ذلك.

بل إن الباحثين الفزيائيين يخبروننا بأن الإلكترون يقفز داخل الذرة من مدار إلى آخر، و لا يلتزم مدارا ثابتا، وهو حين يقفز من مدار إلى آخر لا يمر بالمسافة التي تفصل بين المدارين! أي إنه يختفي من مدار ليظهر في أخر !

حيث يتحدث الفزيائي الكبير د.(ميتشيو كاكو) في لقاء متلفز عن نظرية الفزيائية لإمكانية نقل جسم إنسان بشكل آني فقال : " إن ذلك من أكثر الأسئلة إحراجا حيث للإجابة علية لابد من تقاطع الفيزياء مع الفلسفة ، في الوقت الحالي يمكن نقل جسيمات الضوء (الفوتونات) آنيا ، وكذلك بعض ذرات السيروم و الروبديوم ، ولكننا سنكون قادرين على نقل بعض الجزيئات كجزيئات الماء ، وبعدها من يعرف ؟ ولكن فكرة نقل الإنسان آنيا تثير العديد من التساؤلات الفلسفية ، حيث لهذه العملية أولا تدمر الذرات لتتم عملية الانتقال الآني الكمي!

فعند نقل شخص من غرفة لغرفة آنيا فإننا سنراه يموت ، لكن الشخص الذي بالغرفة الأخرى سيمتلك نفس تصرفات الشخص و شخصية و ذكريات الأصلي ، وسيقول : أنا هو الأصلي ! و لكن رأينا الأصلي يموت ، فمن هو هذا الشخص الجديد و هل يمتلك روحا ؟ حيث فاضت روح الشخص الأصلي ، ونسأل : هل نحن مجرد معلومات فقط ؟ و هل الروح عبارة عن مجموعة معلومات فقط ؟ و أنا عالم فيزياء فقط و لا أمتلك الإجابة و الإجابة بالتأكيد ... لا نعلم "

فالعلماء إجمالا يؤمنون أنهم نقلوا الصوت و الصورة بسرعة البرق ، و أن نقل الجسم حاليا من الخيال العلمي و لا مانع أن يرى النور في يوم من الأيام ، لذلك - كما قلت سابقا - بأني مؤمن بأن الله يذكر في قرآننا من معجزات و خوارق هي بهدف تهذيب نفوسنا أمام ثورة العلم و حتى لا نفتن بهذا العلم.

و بالعودة لقصة سليمان فتبقى أشهر ثغرة عن الجن هي حين مات عليه السلام واقفا و ظلت الجن تعمل دون أن تدرك ذلك حتى أكلت الدابة منسأته وخر سليمان كما ذكر ذلك في الآية "14 سورة سبأ . "

وربما أطلنا في تبين هذه الثغرات مع النبي سليمان الذي نؤمن من القرآن بتحكمه بالجن ومع ذلك أورد لنا القرآن ما يدل على محدودية قدرة الجن.

وماذا عن السحر إذا ؟

وقد أكد العديد من المسلمين أن قضية السحر من المسلمات الشرعية التي أكدها القرآن في أكثر من موضع ، و في الحقيقة هناك كثير من علماء المسلمين من يرون أن السحر لا حقيقة له وإنما هو مجرد خيال و خدع بصرية ، مع بقاء أصل الخلاف بوجود فئة ترى أن السحر قوة غيبية حقيقية تؤثر بالناس و تفرق بين المرء و زوجه و غيرها، إلا أننا كما قلنا آنفا نريد أن نبحر في الرأي الآخر لنرى وجهة نظرهم من السحر المذكور في القرآن.

أولا : سحر موسى:

قبل تبيان قصة سحرة موسى ، لابد من الوقوف على معنى السحر لغويا حيث أشهر معانيه اللغوية (هو كل ما ظهر أثره و خفي سببه) ومن التعريف فإن كل ما ظهر أثره و خفي سببه دخل في دائرة السحر كقول النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : " إن من البيان لسحر" فالبيان الجميل هنا يكون كالسحر الذي يخفى سبب جماله ، و بذلك يدخل الساحر و السحر في هذا القول كون أثر فعلته قد ظهر بينما خفي سببها أو شكلها، و هذا المنطلق الذي سيساعدنا على فهم و جهة نظر العلماء الذين قالوا إن السحر بمعناه السائد و المتداول قديما غير صحيح، فهو خيال لا حقيقة له ، وهذا ما سنوضحه في قصة موسى و السحرة ، و لكن قبل ذلك نعرج على شخصية لها علاقة بموسى، هي شخصية (قارون) و نحن لا نعرف عنها إلا ثرائها الفاحش ، و أني أردت إلقاء الضوء عليها لاكتشاف حقائق أخرى ستعيننا على فهم قصة النبي موسى.

يبدأ القرآن بالحديث عن قارون في سورة القصص : (إن قارون كان من قوم موسى فبغى عليهم) آية 76 . و رغم عدم ورود تاريخ معين لحادثة موسى وقارون إلا أن إعطاء السيادة في هذه الآية لموسى يثبت أنها بعد انشقاق البحر والخروج من مصر، حيث لم يكون لموسى قوم حين كان بنو إسرائيل عبيدا لدى فرعون، وبما أن موسى مات قبل دخول فلسطين حين تاهوا في الأرض40 عاما ، فذلك يدل على أن حادثة قارون حصلت في أرض سيناء تحديدا، وبما أن الله يقول عن مفاتيح كنوز قارون: (ما إن مفاتحه لتنوء بالعصبة أولي القوة) .القصص76. بسبب ثقلها. فيدل على أن ثروته تكونت بعد خروجهم من مصر و إلا ما تمكن من الهرب بها و خلفهم فرعون! و هنا نسأل : من أين لك هذا يا قارون؟

حيث أن بني إسرائيل عندما هربوا لم يكن معهم حتى الأكل و كانوا يرجون موسى أن يدعو الله أن ينزل عليهم المن و السلوى! ... فما هو سر قارون الذي لم يلحقه الفقر و الجوع؟

و قبل معرفة سر قارون لنعرف شخصيته و لما خسف الله به تحديدا فليس هو أول من يكفر بالله و يجحد فضله و نعمه؟!

قارون هو ابن يصهار، و يصهار هو عم موسى، بمعنى أن قارون ابن عم موسى كما قال ذلك ابن عباس في أثر الإسناد أورده الحافظ ابن حجر العسقلاني في كتابه (فتح الباري).

التوراة تذكر أن عم موسى يصهار له ابن اسمه (قورح) و الذي هو نفسه قارون، وقد قال ذلك جملة من العلماء و منهم (ابن عاشور) في تفسيره (التحرير و التنوير) : " وقارون أسم معرب أصله في العبرانية (قورح) بضم القاف و فتح الراء و هذا ابن عم موسى عليه السلام، فهو قورح ابن يصهار ابن قهات بن لاوي بن يعقوب"

و الأن بعد معرفة من هو قارون و علاقة بموسى، سنرى ماذا قالت التوراة عنه و كيف كشف القرآن سر ثروته بكلمة واحدة فقط !

إن سر الثروة في القرآن : (إنما أوتيته على علم عندي). القصص 78. كيف يكسب رجل ثروة من العلم و ليس من العمل؟ وما هو هذا العلم؟ العلم باختصار هو علم (الكيمياء). وحتى تكتمل الصورة يجب أن نعلم أولا ما ثبت تاريخيا هن الثورة الكيميائية في عصر الفراعنة، فكما قال الباحث (بيتر لويسن) أن ثورة الكيمياء كانت عظيمة ويتجلى ذلك في ثلاثة أمور :

- صناعة طوب التعمير.
- تحنيط الموتى.
- صناعة الذهب.

و الأمر الأخير وهو تحويل التراب لذهب عن طريق خلط الزئبق الأحمر و الزئبق الأبيض و تحويل الرمل لذهب كانت مهنة قارون كما يقول بعض أحبار اليهود حين كان عبدا لفرعون قبل الهرب.

وبالعودة إلى قارون نجد أن الإمام القرطبي ذكر ذلك في تفسيره للآية : (إنما أوتيته على علم عندي) نقلا عن ابن عباس " أي إن قارون كان كيميائيا ويعرف صناعة الذهب " . و بإمكاننا رؤية (ثيوسينات الزئبق) الذي اشتهر به الفراعنة إذا تم إحراقه، فهو يمتد بشكل طويل فيصبح كالثعبان، ولو كنا نجهل الكيمياء لقلنا أن هذا سحر! و هو سحر بالمعنى اللغوي حيث نرى الأثر و نجهل السبب .

ولذا نجد من علماء المسلمين قال بتحريمه حيث قالوا: بأن الكيمياء إذا استخدمت في صناعة الذهب و الفضة المغشوشة فهي محرمة .

وبالعودة إلى قارون و الذي صنع ثروته من هذا العلم ، وكلنا نعلم أنه خسف به الأرض، وسبب الخسف الرئيس هو أن قارون بعد جمعه لثروته أن ينقلب على قيادة موسى ليصبح هو سيد قومه و جمع الأعوان أو أشعل الفتن، فما ذكرته التوراة عن ثورة قورح على موسى يذكره القرن في قول قوم موسى لقارون : (و لا تبغ الفساد في الأرض إن الله لا يحب المفسدين) . القصص 77 .

ومن جهة أخرى تتفق الكتب السماوية على أن الله خسف الأرض بقارون ، فقد جاء في التوراة أن الأرض انشقت وبلعت قورح و أعوانه: (فتحت الأرض فاها و ابتلعتهم مع قورح حين مات القوم بإحراق النار، مئتين و خمسين رجلا . فصاروا عبرة) سفر العدد 26

ويؤكد القرآن ذلك قول الله: (فخسفنا به وبداره الأرض فما كان له من فئة ينصرونه من دون الله و ما كان من المنتصرين). القصص81.

وكل ما ذكرناه هو بنية توضيح أن السحر الذي جاء في قصة موسى عليه السلام و الذي اشتهر به الفراعنة إنما هو تلاعب كيميائي. حيث لم يذكر الله أبدا عن وجود جن وشياطين بل إن كل الأدلة التي وردت تؤكد أن المسألة لا تعدو كونها خدعا بصرية و تلاعب بمواد كيميائية كقوله: (فإذا حبالهم و عصيهم يخيل إليه من سحرهم أنها تسعى) . طه66. ولاحظ قوله تعالى : (يخيل) بمعنى خيال غير حقيقي .

أضف إلى ذلك أن الله اخبرنا أن فرعون جمع من قومه كل سحار عليم، وكلمة سحار لغويا على وزن فعال وهو أشد السحرة علما و خبرة، فماذا كان من أمرهم؟ إلا الخيال الذي لا حقيقة له كما قال الله تعالى في الآية السابقة، ولو كان للسحر أثر حقيقي لجاءوا به في هذا الوقت العصيب حيث أرادهم فرعون الانتصار لأعز شيء عندهم (أرضهم) !. بل لو أنهم سحرة يتعاملون مع الجن لما فزعوا من عصا موسى عليه السلام التي تحولت إلى حية تسعى و تلقف ما يأفكون .

غير أن الواقع يقول إن هؤلاء السحرة أدركوا أن ألاعيبهم و خيالاتهم لن ترقى إلى المعجزة الحقيقية التي أتى بها موسى فخروا ساجدين.

ثانيا : ما هو موقفهم من هاروت و ماروت؟

لقد ذكرنا في الفصل الثاني قصة سليمان و فتنة الحكم التي حدثت بينه و بين أخيه، و أن شياطين الأنس الذين تمردوا عليه اتهموه بالكفر وبأن هاروت و ماروت شخصيات مقدسة بديانة البابلية، و ختمنا ذلك بقول أن بعض المفسرين كابن عباس عن أن الله لم ينزل السحر أصلا و أن (ما) في قوله تعالى: (ومآ أنزل على

الملكين ببابل هاروت و ماروت). البقرة 102. تفيد الجحد بمعنى (ما أنزل الله السحر أصلا) و لكن هناك من يعترض على هذا فيقولون : " لماذا ذكر الله بنص صريح أن هؤلاء السحرة يعلمون الناس السحر؟ و ما يعلمان من أحد حتى يقولا إنما نحن فتنة؟ " فنقول: إن ذلك يدعم أصحاب الرأي الذين ينكرون حقيقة السحر، وذلك بأن القرآن عرض السحر كـ(علم)، والعلم يمكن تعليمه و ليس كمسألة غيبية يمتاز بها شخص عن شخص مثل الشعوذة؟

وفي ذلك تأكيد أنهم كانوا يتعلمون أمور تخيلية تؤذي لهم غاياتهم، و ذلك ابتلاء من الله ليؤكد لعامة الناس الذين افتتنوا بهؤلاء السحرة أن معجزة نبي الله سليمان حقيقية مقارنة بألاعيبهم، حيث كان يتحكم بالجن فعلا و ذلك مما أكد نبوته عند الذين شكو بها بالبداية و كانوا مع المرتدين عليه.

ثالثا: النفاثات في العقد :

هناك من قال أن النفاثات في العقد في سورة الفلق في قوله تعالى : (و من شر النفاثات في العقد). الفلق.4. هن النساء الساحرات ولكن بما أننا نتحدث عن الرأي الآخر الذي يرفض فكرة السحر و يقول أنه خدع و خيال لا حقيقة.

فالنفاثات في العقد هن النساء و ولا شك حيث قال تعالى : (النفاثات) و لم يقل (النفاثين) و هذا يقودنا لسؤال لما لا نتعوذ من شر النفاثين الرجال؟

و الحقيقة أن ذكر النساء هو رد على اشتهار النساء بالغيبة و النميمة التي تخرب البيوت و تفرق الأزواج . حيث أن (النفث) هو قذف القليل من الريق و هو شبيه بالنفخ، و أقل من التفل، و النفث لغويا هو نفث السموم و الأحقاد كقول: نفثت الأفعى سمها ، و المراد بالآية هنا النميمة التي في العقد أي روابط الود و التي تفرق بين المتحابين من الزوج و الزوجة و الولد و والده و الشركاء في التجارة و غيرهم . والعرب يسمون الارتباط بين شخصين عقدة، كما جاء التعبير في ربط الزوجين ب (عقد نكاح) .

و بذلك نقول معنى الآية : " من شر النمامين الذين يحاولون بوساوسهم قطع الود بين المتحابين" و هذا التشبيه في الجمل التركيبية، فالنميمة تحول ما بين الصديقين من محبة إلى بغضاء بالدسائس، و هي وسائل خفية تشبه السحر الذي لطف و دق مأخذه .

و ذلك يتناسب مع باقي آيات السورة في: (ومن شر غاسق إذا وقب). الفلق.3. و كذلك: ومن شر حاسد إذا حسد). الفلق . 5. فالاستعادة منهم جميعا بالله المستعان لإحباط مساعيهم و رد مكائدهم في نحورهم.

رابعا: هل سحر النبي (صلى الله عليه وسلم):

جاء في صحيح البخاري الحديث : " سحر رسول الله (صلى الله عليه وسلم) رجل من بني زريق، يقال له لبيد بن الأعصم، حتى كان الرسول يخيل إليه فعل الشيء و ما فعله... إلخ الحديث) وبصرف عن كون الحديث يحتوي في سنده تفرد مريب عن هشام لا غير و عن عروه لا غير و عن عائشة لا غير، ولكن ذلك لم يكن وحده سببا لرد الحديث بل لأنه خلاف شروط الحديث الصحيح وهي التالية:

1. عدالة رواة الحديث.
2. تمام ضبط رواته لما يرون.
3. اتصال السند من أوله إلى آخره.
4. سلامة الحديث من الشذوذ في سنده و متنه، و الشذوذ أن يخالف الراوي من هو أرجح منه.
5. سلامة الحديث من العلة في سنده و متنه، و العلة سبب خفي يقدح في صحة الحديث.

حيث في هذا الحديث علة تتعارض مع القرآن و ممن قال ذلك أبا بكر الرازي في تفسيره (أحكام القرآن) حيث قال هذا الحديث من دسيس الملاحدة ليشككونا في ديننا! وليس هو وحده من قال ذلك بل حتى فخر الدين الرازي و حتى من علماء المعاصرين من الشيوخ في يرفض ذلك منهم محمد عبده و سيد قطب حيث حكموا على الحديث بالبطلان.

و نذكر الأسباب:

أولا : أن نص الحديث يتعارض مع القرآن الكريم، فالله سبحانه ذكر لإبليس و سائر الجن و الشياطين أنه لن يكون لهم سلطان على عباده الصالحين في قوله : (قال هذا صراط علي مستقيم *41* إن عبادي ليس لك عليهم سلطان إلا من اتبعك من الغاوين* 42*) . الحجر. 41.42. و النبي من عباد الله الصالحين الذين تعهد الله بحفظهم من الشياطين و جعله صراطا عليه مستقيما، فكيف يتمكن الجن و الشياطين من سحره و التأثير فيه و في عقله و خياله ؟!

ثانيا: الأخذ بهذا الحديث فيه قدح في عصمة النبي حيث قال الله عنه: (يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك و إن لم تفعل فما بلغت رسالته و الله يعصمك من الناس). المائدة. 67. و هذه عصمة واضحة صريحة للنبي من سائر الناس فكيف يتمكن دجال يهودي كلبيد بن الأعصم منه؟! و العصمة للنبي الكريم (صلى الله

عليه وسلم) من الناس تستمر حتى تبليغ الرسالة و القول بأن هناك يهودي سحره قبل إتمام الرسالة منافي لهذه العصمة !

ثالثا: أن الأخذ بهذا الحديث فيه قدح بالوحي، فالقول بأن الرسول سحر لستة أشهر، و في روايات أخرى أكثر من ذلك فهذا يفتح الباب لأي متربص أن يقول: لديكم حديث صحيح على أن النبي سحر لفترة طويلة و كان يخيل إليه أمور، فكيف تضمنون أن بعض التشريعات و الوحي ليست من خياله؟!

لذلك عصم الله نبيه عن الناس حفاظا له من أمثال هذا القدح و لعل ذلك ما قصده أبو بكر الرازي (الجصاص) عند ما قال: إن هؤلاء الملاحدة يريدون تشكيكنا في ديننا !

رابعا: أن نص الحديث يوحي بإمكانية استخدام النشرة (فك السحر بالسحر) و هذا ما دفع عدد من العلماء و المشايخ بجواز النشرة نسبة إلى هذا الحديث و من أمثال ذلك في المملكة السعودية حيت أفتى الشيخ العبيكان بجواز ذلك فيقول : " إن هناك ادلة على ذلك و منها ما روى البخاري عن عائشة أنها قالت : " سحر رسول الله (صلى الله عليه وسلم) رجل من بني زريق يقال له لبيد بن الأعصم إلى آخر الحديث. فقول عائشة في هذا الحديث : " أفلا استخرجته" معناه أظهرته بين الناس ، و ليس المقصود إخراجه من البئر لأن النبي فعل ذلك " و يضيف العبيكان: " وفي الصحيح عن عائشة انها قالت : يا رسول الله هلا نشرت، قال (صلى الله عليه وسلم) : (أما و الله شفاني و خشيت أن أفتح على الناس شرا).

خامسا: أن الحديث يصادق في ظاهره، على كلام المشركين و الكفار الذين كانوا يرمون أطهر الخلق بتهمة السحر كقوله تعالى: (قال الكافرون إن هذا لساحر مبين). يونس.2. و قوله : (فقال إن هذا إلا سحر يؤثر *24* إن هذا إلا قول البشر* 25*) . المدثر. 24.25. و الملحوظ من سياق هذه الآيات أن الله سبحانه ينفي ويذب عن نبيه الكريم مثل هذه الأقاويل الباطلة بل يسمي من يقولها بالظالمين و ذلك حتى لا يخلط الناس بين حقيقة النبوة و شعوذة الدجالين، فكيف يستقيم أن نجد حديث يؤكد هذه التهمة و أن النبي(صلى الله عليه وسلم) قد تعرض للسحر الذي أثر عليه و تمكن منه؟!

و القول بأن النبي قد سحر ليؤكد لهم أنه بشر فهو لم ينف تهمتهم عنه بل أكدها لهم و العياذ بالله! بينما يكون الأصل في نفي هذه التهمة هو تبيان عصمته عن كيد الحاقدين و ليس بتمكينهم منه حاشا لله!

* * *

بعض العلماء أرادوا أن يوفقوا بين الأثنين عن طريق تأويل الحديث أملا في درء تعارض النقل والعقل ، و أنقل لكم أبرز الأقوال:

حيث قال عدد من الرواة : " إن هذا السحر لم يكن له أي تأثير على عقل النبي و بأن تأثيره كان في جسمه و بصره كباقي الأمراض ، وبأن النبي لم ينطق في مرضه بغير الصدق و الصواب و الحق وبأن السحر لم ينل إلا من جسمه الشريف أما عقله فكان على أتم ما يكون طوال مدة المرض" !

و في الحقيقة أن هذه الأقوال هي تبريرات لا حجة وذلك لضعفها، فهي تثبت السحر للنبي و أن الجن و اليهودي تمكنوا منه – حاشا لله – ثم تنفي عنه تأثيرها على عقله، و ظاهر الحديث يدل أن النبي – حاشا لله – كان يخيل له و التخيل من مركز العقل و ليس بشكل ذاتي من البصر حتى نفصل بينهما ! بل أن جميع الحواس لها مراكزها في الدماغ و يدركها العقل فلا يستقيم الفصل بين الأثنين، فإما نقر بالسحر و نتحمل تبعات ما يترتب على ذلك من أمور ذكرناها سابقا لكم، و إلا ننفي ذلك جملة و تفصيلا و نحفظ لرسولنا الكريم عصمت التي أقرها الله و حفظها له في كتابه الكريم.

* * *

إننا لا تتكر أن في القرآن الكريم شفاء كما قال تعالى : (و ينزل من القرءان ما هو شفاء و رحمة للمؤمنين). الإسراء. 82. و في الحقيقة إن معنى الشفاء هنا هو الشفاء الروحي، و ذلك بتزكية الأنفس و القلوب و تطهيرها وقد قال معظم المفسرين : " أن المقصود هو شفاء القلوب بزوال الجهل عنها " وقد كانت العرب تقول " أريد أن أشفي غليلي" أي أطهر نفسي و أريحها! و كذلك نجد في قول الله : (ويشف صدور قوم مؤمنين). التوبة.14. أي يطهرها و يزكيها و يريحها.

ختاما، كان من اللائق على الأقل في هذه الحقبة العلمية من الزمن أن تظهر كل الأقوال الفقهية التي تنفي السحر- مع كل الاحترام للأقوال الاخرى التي تثبت حقيقة السحر – و كان الأجدر أن يعلم الجميع أن القرآن كتاب صالح لكل زمان و مكان، و أنه نفى كل هذه الشعوذة و الخرافات، نعم لا ننكر وجود دجالين و سحرة و مشعوذين إلى اليوم ، و لكن دورهم يكمن في الضحك على الناس و افتتانهم في دينهم بل وجرهم إلى الشركيات المبنية على أوهام، و قد كان الشرع صارما اتجاه هؤلاء الدجالين ، فوضح حدا صارما للسحرة، و حرم التواصل معهم بل إن الذهاب إليهم يعد من مسببات الكفر كما جاء في الحديث عن ابن داود أن النبي قال : " من أتى كاهنا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد" و كما قال تعالى : (و لا يفلح الساحر حيث أتى) . طه.69 .

rawafed_k
rawafed_k
rawafed-k

روافد المعرفة

المحتويات

المقدمة 5
ملك اِلناس : 9
ذات الإله:.....12
خارج المكان والزمان: 15
مفاتيح الغيب التي لا يعلمها إلا الله: 15
لماذا خلقنا الله 16
معضلة الشر: 17
أنبياء الشرق:.....19
مع المعجزات: 22
سليمان والملكة سبأ: 27
الرب و الابن أم النبي؟ :.....44
أرض الميعاد :.....45
عالم الجن والسحر: 47
الجن والتلبس والتعاويذ :.....48

في الختام

قد تكون وجدت ضالتك في هذا الكتاب، فكرةً كانت أو معلومة قد سرقت لُب قلبك، ورُبما اقتبست منه نورًا يشع بك، فهل تُشارك الآخرين هذا النور عبر حسابنا فنُضيء جميًعا؟

وديان سعد

مثل أي إنسان في هذا الوجود يقف مع نفسه في لحظات صمت وتفكر
فيطرح عقله عليه تلك الأسئلة التي قد يعجز عنها العقل نفسه ..
ولكن ولثقته بإن مايطرحه عقله عليه ممكن الحصول على إجابه له ..
يبدأ بخطوات البحث عن ذلك إما سراً أو جهراً ..
حتى يصل أو ربما يظل الطريق ..
تجده مؤمناً بإن الله أعطانا عقولاً لديها قدرة على تصور
وطرح كل الأسئلة الممكنة ..
فلماذا لايمكنها أن تجد إجابة على ذلك ؟!
ربما من السهل على أي إنسان أن يطرح تساؤلات لاتنتهي (لماذا .. ولماذا؟)..
ولكن هل بالضرورة أن يجد إجابة على ذلك ؟ هل عقولنا كريمة لتغدقنا بهذه
التساؤلات التي لا أول لها ولا آخر ومن ثم ترفض منا أن نرد لها الجميل
وأن نجيب على سؤالها ؟ ..
أم أن عقولنا هذه محدودة القدرة والإدراك
فلا يمكنها أن تبحر في أعماق تلك التساؤلات الغيبية ؟!.

روافد المعرفة
Rawafed_k
Rawafed-k
Rawafed.communicate@gmail.com
https://rawafedcommunicate.wixsite.com/rawafedknowledge